الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة " محمد الصديق بن يحيى "
– جيجل –

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

تجربة النقد ما بعد الكولونيالي عند إدريس الخضراوي

– من خلال كتابه " الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار " –

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر لغة وأدب عربي تخصص:
دراسات نقدية - نقد حديث ومعاصر-

إعداد الطالبين (ة):

- لحنش صالح
- بوتعية محمد

تحت إشراف الأستاذ (ة) :

رويدي عدلان

الأستاذ (ة): فنينش كمال ..... مناقشا

الأستاذ (ة): عدلان رويدي ..... مشرفا

الأستاذ (ة): أمينة بوكيل ..... رئيسا

السنة الجامعية: 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

دعاء

رب اشرح لی صدری ویسر لی أمری

﴿٢٨٦﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا
كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا
وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ
عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا
لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ
لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى
ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

شکـــر و تقدیـــر

شـــــــكر وتقديـــــــــر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ما غرد بلبل وصدح، وما اهتدى قلب وانشرح، وما عم فينا سرور وفرح، الحمد لله ما ارتفع نور الحق وظهر، وما تراجع الباطل وتقهقر، وما سال نبع ماء وتفجر، وما طلع صبح وأسفر.

بفضل الله وعونه وبعد جهد ومثابرة تم إنجاز هذا العمل ونسأل المولى عز وجل التوفيق فيه.

حياتنا محطات.. ما أن نصل إلى محطة حتى نكون مودعيها..

وفي كل محطة.. سماء.. وأرض.. مختلفتين..

وفي كل محطة.. أناسٌ ساعدونا.. وأناسٌ علمونا ..

وفي كل محطة.. حياة.. وعمر مضى..

أتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان للذين كان لهم الفضل في إتمام هذا العمل على رأسهم الأستاذ المشرف "رويدي عدلان" الذي كان بمثابة السراج المنير لنا ولم يبخل علينا بجهد أو نصيحة، وقدم لنا يد العون بتوجيهاته ونصائحه القيمة. إلى كل من سهر وساهم في العمل من قريب أو بعيد

إهداء

إهـــــــــــداء:

الحمد لله الجليل الحي القيوم ذو الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبي الهدى والرحمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

إلى من قال فيهما عز وجل **"وقل لهما قولا كريما"**

إلى التي يعجز اللسان عن التعبير لها عن مدى امتناني لها على صبرها علي أدامها الله لي

أمي حبيبتي

إلى الذي علمني الصبر والمثابرة، إلى من كان السند والعون لي من أجل تخطي الحياة

أبي الكريم

إلى كل من ساندني ودعمني من عائلتي.

إلى كل صديق الوفاء والإخلاص.

إلى الأحباء الذين يعجز اللسان على شكرهم ما حيينا

مقدمة

مقدمـة:

حاول الإنسان منذ نعومة أظافره الوصول إلى المعرفة، والسعي إلى تجسيدها على أرض الواقع، وقد استخدم في ذلك عدة وسائل وأدوات أهمها النقد، والذي ارتبط اسمه واقترن بكل مجالات الإنسان (الثقافية، السياسية، الاجتماعية، الأدبية...).

وقد شهدت النظرية النقدية المعاصرة تطورات عديدة خلال مسارها الطويل، خصوصا مع بروز تيار ما بعد الحداثة، الذي جاء نتيجة لجملة من التصورات والأفكار والفلسفات، خصوصا فلسفة الاختلاف.

ويعد حقل الدراسات الثقافية من إفرازات هذه النظرية النقدية، التي حاولت تفكيك مختلف الخطابات وفهم عميق لها، فظهر النقد النسوي والتاريخانية الجديدة، ونقد ما بعد الكولونيالية. هذا الأخير الذي شهد توسعا وانتشارا في الساحة النقدية الغربية، حيث مثلهم مجموعة من النقاد والدارسين، الذين ينتمون إلى بيئات شرقية وهامشية كإدوارد سعيد وهومي بهابها وغياتري سبيفاك، ليمتد نفوذه في البيئة النقدية العربية على يد جيل من النقاد كرامي أبو شهاب، عبد الله الغدامي وإدريس الخضراوي...، هذا الأخير الذي يعد من الباحثين المختصين في هذا الحقل الدراسي، كما يعد أحد الأقلام النقدية العربية الشابة، وذلك من خلال أعماله ومؤلفاته البارزة في الساحة النقدية العربية، خاصة دراسات ما بعد الاستعمار، ومن أهم هذه المؤلفات نذكر: سرديات الأمة، الأدب موضوعا للدراسات الثقافية، الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار. هذا الأخير الذي هو محور دراستنا.

وتكمن أهمية هذا البحث في معرفة موضوع النقد ما بعد الكولونيالي، إضافة إلى تقديم دراسة حول كتاب " الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" لإدريس الخضراوي.

وضمن دراستنا لهذا الموضوع، اخترنا الانطلاق من إشكالية رئيسية تتمثل في: كيف كانت تجربة النقد ما بعد الكولونيالي عند إدريس الخضراوي؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات الفرعية أهمها:

- كيف نشأت وتطورت الدراسات الثقافية؟
- تمظهرات النقد ما بعد الكولونيالي في البيئة العربية؟
- ما هي أهم القضايا المطروحة في كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" لإدريس الخضراوي؟
- أهم الانتقادات الموجهة لإدريس الخضراوي من خلال كتابه "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار"؟

وقد دفعتنا مجموعة من الأسباب لاختيار هذا الموضوع نذكر منها:

- الرغبة في خوض تجربة جديدة في مجال النقد.
- الرغبة في تنمية القدرات المعرفية والتأويلية والتحليلية ومحاولة تطويرها.
- الاهتمام بمعالجة قضايا العصر الحديثة التي تتزامن مع عالمنا الراهن.
- حب البحث والاطلاع في كل ما يتعلق بالنقاد العرب عموما، وعلى إدريس الخضراوي على وجه الخصوص.

ومن أجل مقاربة علمية ومنهجية للموضوع، قمنا بوضع خطة مكونة من **مقدمة وفصلين (فصل نظري وفصل تطبيقي)**، وخاتمة، تناولنا في **الفصل الأول** تأصيل لأهم المفاهيم النظرية حول الدراسات الثقافية، حيث عرفنا فيه الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، إضافة إلى نشأة وتطور الدراسات الثقافية وأهم أعلامها الغربيين والعرب، وتحدثنا عن النقد ما بعد الكولونيالي ونشأته وأعلامه، وختمنا هذا الفصل بالحديث عن النقد ما بعد الكولونيالي في البيئة العربية. أما **الفصل الثاني** وهو الفصل التطبيقي الذي جاء تحت عنوان: تجربة النقد ما بعد الكولونيالي عند إدريس الخضراوي من خلال كتابة "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار"، حيث قمنا في البداية بتقديم تعريف للناقد إدريس الخضراوي وأهم أعماله في الساحة النقدية المعاصرة، ثم قمنا بتقديم قراءة حول كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" لإدريس الخضراوي، تناولنا فيها أهم القضايا النقدية التي جاءت في هذا الكتاب مثل قضية الأنا والآخر، وثنائية التاريخي والتخيلي، وفي ختام هذا الفصل تطرقنا إلى بعض آليات التمثيل السردي من خلال كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار"، مثل الزمان والمكان والشخصيات، وخاتمة كانت خلاصة لأهم النقاط التي استخلصناها في بحثنا.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال وصف النظرية ما بعد الكولونيالية وصفا دقيقا، وتحليل أهم القضايا المطروحة في كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" لإدريس الخضراوي.

ومن باب الأمانة العلمية، توجد بعض الدراسات السابقة حول هذا الموضوع مثل: مذكرة شهادة الماجستير في اللغة والأدب للأستاذة نادية بوحاريش منشورة والتي جاءت تحت عنوان "النظرية ما بعد الكولونيالية والتلقي العربي".

وقد اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها: كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار"، والذي كان هو مصدر بحثنا، إضافة إلى مجموعة من المراجع مثل: كتاب "النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية" لبعد الله الغدامي، وكتاب "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن" لحفناوي بعلي، وكتاب "الرسيس والمخاتلة" لرامي أبو شهاب.

وقد واجهتنا مجموعة من الصعوبات في دراستنا، حيث كانت جائحة كورونا أهم صعوبة، حيث أدت إلى غلق الجامعات والمكتبات، إضافة إلى ندرة المعلومات حول الناقد إدريس الخضراوي.

وفي الأخير نتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساهم معنا في إنجاز هذا البحث ولو بكلمة واحدة، ونخص بالشكر الأستاذ المشرف الدكتور "عدلان رويدي" الذي لم يدخر أي جهد في مساعدتنا، ولم يبخل عينا بتقديم أي صغيرة وكبيرة.

الفصل الأول:

الدراسات الثقافية/ النقد الثقافي

(تأصيل للمفاهيم النظرية)

الفصل الأول: الدراسات الثقافية/ النقد الثقافي (تأصيل للمفاهيم النظرية)

1- مفاهيم نظرية

1-1- تعريف الدراسة

1-1-1- لغة

1-1-2- اصطلاحا

1-2- تعريف الثقافة

1-2-1- لغة

1-2-2- اصطلاحا

2- الدراسات الثقافية والنقد الثقافي

2-1- مفهوم الدراسات الثقافية

2-2- مفهوم النقد الثقافي

2-3- نشأة وتطور الدراسات الثقافية

3- أهم أعلام الدراسات الثقافية الغربية

4- الدراسات الثقافية في النقد العربي المعاصر

5- النقد ما بعد الكولونيالي (المصطلح والمفهوم)

5-1- نشأة الخطاب ما بعد الكولونيالي

5-2- أعلام النقد ما بعد الكولونيالي

5-3- النقد ما بعد الكولونيالي في البيئة العربية

إنّ أهم ما يميّز الدراسات النقدية المعاصرة وتوجهات الفكر في مرحلة ما بعد الحداثة (ما بعد الكولونيالية) هو السعي نحو تجاوز الشعر الجمالي في النص الأدبي، والرجوع إلى ذلك النص في ضوء الثقافة التي أنجزته. حيث شهدت الدراسات الثقافية في هذه المرحلة (ما بعد الاستعمار) ازدهارا كبيرا وانتشارا واسعا في شتى المجالات، وحظيت باهتمام كبير لدى مختلف الدارسين، وهذا راجع لشموليتها لمختلف الموضوعات، وفي هذا المجال ظهر لنا النقد الثقافي الذي يشكل جزءا من الدراسات الثقافية بوصفه مبحثا حيويا يسعى إلى كشف العيوب والقبحيات التي تختبئ تحت المنظور الأدبي. [1]

فالدراسات الثقافية والنقد الثقافي مصطلحان متداخلان يدلان تحديدا على الدراسات التي تشتغل بصورة مركزة على تفكيك البنى الثقافية، والإحاطة بأنساقها ومهيمنات إنتاج المعاني الإيديولوجية، وكشف السياقات الثقافية والسياسية والاجتماعية، ومعرفة مرجعيات الخطاب الثقافي، فالفرق بين مصطلحي الدراسات الثقافية والنقد الثقافي هو كالفرق بين مصطلحي الدراسات الأدبية والنقد الأدبي، فالأول يعني حقول الممارسة النقدية ومناهجها، والثاني يعني الممارسة نفسها.

وما الفصل بينهما إلا لغرض التنظيم المنهجي والتوسع بالمفاهيم أو للتفريق بين الدراسات الثقافية عمومًا، وبين تلك الموضوعة بقصدية النقد الثقافي، ويمكن القول بأن مصطلح الدراسات الثقافية يطلق أحيانا على مجمل الدراسات الوظيفية والتحليلية والنظرية والنقدية، بينما يشير مصطلح النقد الثقافي إلى هوية المنهج الذي يتعامل مع النصوص والخطابات الأدبية والجمالية والفنية، فيحاول استكشاف أنساقها المضمرة غير الواعية.

[1] ينظر: اسماعيل خلباص حمادي: "النقد الثقافي: مفهومه، منهجه، إجراءاته"، مجلة كلية التربية/ واسط، الصادرة في جامعة واسط، ع 13، نيسان 2013.

1- مفاهيم نظرية:

1-1- تعريف الدراسة:

1-1-1-لغة: جاء في معجم لسان العرب: درس: درس الشيء والرسم يدرس دروسًا: عفا، ودرسته الريح. يتعدى ولا يتعدى. ودرسه القوم: عفوا أثره، والدرس أثر الدارس، وقال أبو الهيثم: درس الأثر يدرس دروسا ودرسته الريح تدرسه درسا أي محته، ومن ذلك درست الثوب أدرسه درسا، فهو مدروس ودريس أي أخلقته.[1]

وورد في القاموس المحيط: درس الرسم دروسًا: عفا، ودرسته الريح، لازم متعد، والمرأة درسا ودروسا: حاضت، وهي دارس، والكاتب يدرسُه ويدرسِه درسا ودراسة: قرأه، كأدرسه ودرَّسه، والجارية: جامعها، الحنطة درسا ودراسا: داسها، والبعير: جرب جربا شديدا. فقطر، والثوب: أخلقه، فدرس هو، لازم متعدد. [2]

أما في كتاب العين فجاء معناها: درس: الدرس: ضرب من الجرب يبقى له أثر متفش في الجلد. قال العجاج: من عرق النضج عصيم الدرس. والدرس: بقية أثر الشيء الدارس، والمصدر الدروس.

ودرسته الرياح، أي عفته. والدرس: درس الكتاب للحفظ، ودرس دراسة، ودارست فلانا كتابا لكي أحفظ. والدريس: الثوب الخلق، وكذلك من البسط ونحوها. [3]

1-1-2- اصطلاحا: تعرف باللغة الإنجليزية بمصطلح survey، وهي عبارة عن متابعة موضوع معين، وقراءته قراءة واضحة من خلال دراسة مصادر تبحث في كافة تفاصيله، وعادة تستخدم الكتب كمصدر رئيسي للدراسات، وتعرف الدراسة أيضا بأنها متابعة لحالة ما، قد تكون جديدة وغير مكتشفة من قبل، وتساهم دراستها في تعريف الناس بها، وإثراء المجال العلمي الذي ترتبط فيه. [4]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، ج17، دار المعارف، القاهرة، 1998، باب الدال، مادة درس.

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ج8، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 2005، مادة درس.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ج2، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، مادة درس.

[4] مجد خضر: الفرق بين الدراسة والبحث، تاريخ الإنزال 26-02-2020، 13:00، https://mawdoo3.com.

وفي تعريف آخر: هي دراسة عالمية تقوم على أساس المقارنة لقياس قدرات الطلبة في مهارات القراءة بلغتهم الأم، ومن ثم تطوير تلك المهارات والارتقاء بها، ويعبر مفهوم الدراسة عن القدرة على فهم واستخدام الأشكال اللغوية الكتابية التي يحتاج لها الفرد والمجتمع، وتمكين القراء الصغار من استنباط المعنى من مختلف النصوص، وتجري الدراسة تحت إشراف الهيئة الدولية لتقويم التحصيل التربوي (IEA)، ومقرها أمستردام بهولندا.[1]

1-2- تعريف الثقافة:

1-2-1- لغة:

جاء في محيط المحيط: ثقافة-ج: ـات [ث ق ف]. (مص. ثَقُفَ، ثَقَف)."حصل على ثقافة عالية": الإحاطة بالعلوم والمعارف والآداب والفنون.

"الثقافة العامة": مجمل العلوم والفنون والآداب في إطارها العام.

"الثقافة الوطنية": ما يميزها عن غيرها من معارف وعلوم وفنون وعادات وتقاليد، أي كل ما هو مرتبط بحضارتها.

"الثقافية العربية". [2]

وورد في لسان العرب: ثقف: ثقِف الشّيء ثقفًا وثقافًا وثقوفة: حذقه. ورجل ثَقْف وثَقِف وثَقُف: حاذق فهم، وأتبعوه فقالوا ثقف لقف. وقال أبو زياد: رجل ثقف لقف رام راو. اللحياني: رجل ثقْف لقْف وثقِف لقِف وثقيف لقيف بيِّن الثقافة واللقافة. [3]

أما في تاج العروس: [ثقف]: (ثَقُفَ، ككرم، ورفح، ثقفا) بالفتح على غير قياس (وثقفا)، محركة: مصدر ثقف، بالكسر، (وثقافة) مصدر ثقف، بالضم: (صار حاذقا خفيفا فطنا) فَهِمًا (فهو ثِقْفٌ، كَحِبْرٍ، وكَتِفٍ).[4]

---

[1] وزارة التعليم والتعليم العالي: تعريف الدراسة، تاريخ الإنزال: 26-02-2020، https://www.edu.gov.qa/AR.14:30

[2] بطرس البستاني: محيط المحيط، تحقيق: محمد عثمان، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، مادة ثقف.

[3] ابن منظور: لسان العرب، ج6، باب التاء، مادة ثقف.

[4] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس، تحقيق: مصطفى حجازي، ج24، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، مادة ثقف.

1-2-2- اصطلاحا:

في محاولتنا في تحديد مفهوم اصطلاحي للثقافة نجد أنفسنا أمام مجموعة من التعريفات:

- فيعرفها "بيار بورديو" "Pier Pordio" في كتابه "الهيمنة الذكورية" على أن الثقافة Culture «هي واحدة من أهم الخصائص المميزة للجماعات البشرية، فهي كل ما هو قيم واحتفالات ووسائل حياة تؤسس لجماعة ما وتميزها عن غيرها» [1].

- من خلال هذا التعريف يتضح لنا مفهوم الثقافة، حيث تعتبر المعيار والأساس الذي يميز مجتمع عن مجتمع آخر، عن طريق العادات والتقاليد، فكل مجتمع له خصوصيات تندرج ضمن ثقافته الخاصة.

- وفي تعريف آخر يعرفها "روبرت بيرستد" "Robert Birseted": «إنّ الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه، أو نقوم بعمله، أو نمتلكه كأعضاء في مجتمع». [2]

فحسب هذا التعريف تتضح لنا عدة جوانب من الثقافة إذ هي ظاهرة مركبة متعددة العناصر، بعضها فكري وبعضها سلوكي وبعضها مادي.

2- الدراسات الثقافية والنقد الثقافي:

2-1- مفهوم الدراسات الثقافية:

تبوّأت الدراسات الثقافية مكانة مرموقة وخلقت لها حضورا ملموسًا في مجال العمل الأكاديمي، والفنون والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، وفي مجال العلم والتكنولوجيا. ومنه فالدراسات الثقافية تعتبر مجال دراسة ساخنة ومثيرة، وقد أصبحت أكثر جذبا للتقدميين على اختلاف مشاريعهم، وذلك لأن الثقافة بوصفها قيمة أو موضوع دراسة فقد احتلت مكانة المجتمع باعتباره موضوعا عاما للبحث بين التقدميين. [3]

---

[1] بيار بورديو: الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص 184.

[2] مجموعة من الكتاب: نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1997، ص 9.

[3] زيودين ساردار وبورين فان لون: الدراسات الثقافية، تر: وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003، ص 7.

معنى هذا أن الدراسات الثقافية استطاعت أن تكتسب قيمة في مجال الدراسات الحديثة، حيث أخذت مكان النقد الأدبي الذي كان هو أساس الدراسات، وهذا بسبب شموليتها لمختلف العلوم والآداب والفنون.

2-2- مفهوم النقد الثقافي:

ظهر النقد الثقافي كنوع من الدراسات النقدية التي خلقت تطورًا جديدًا بوصفه مبحث حيوي داخل الدراسات الثقافية، ويعتبر النقد الثقافي نشاطا وليس مجالا معرفيا خاص بذاته. حيث يعرفه آرثر آيزابرغر «النقد الثقافي – كما اعتقد- هو مهمة متداخلة، مترابطة، متجاوزة، متعددة كما أنّ نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكارا ومفاهيما متنوعة، وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد، وأيضا التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي، وبمقدوره أيضا أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات، ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والاجتماعية والأنثروبولوجية...الخ، ودراسات الاتصال، والبحث في وسائل الإعلام والوسائل الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة (وحتى غير المعاصرة)».[1]

من خلال هذا التعريف يتضح لنا أن آرثر آيزابرغر ربط النقد الثقافي بمجالات ونظريات عديدة كانت مرتكزة أساسية في النقد الأدبي، وهو بهذا ينادي إلى إدخال كل النظريات التي ساهمت في تكوين النقد الأدبي في النقد الثقافي، وهذا ما فتح المجال أمام بعض النقاد الثقافيين في الدعوة إلى تبني النقد الثقافي كبديل عن النقد الأدبي.

ومن جهة أخرى يرى كل من سعد البازعي وميجان الرويلي: «أنّ النقد الثقافي كما يوحي اسمه نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعًا لبحثه وتفكيره، ويعبّر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها». [2]

ومنه يمكن القول أن النقد الثقافي نشاط يسعى إلى تبيان الأبعاد الاجتماعية والتاريخية للنص ومدى تفاعله مع الثقافة، حيث تمثل الثقافة العمود الأساس الذي يقوم عليه بحثه.

---

[1] آرثر آيزابرغر: "النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية"، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويس، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2003، ص 30-31.

[2] ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص 305.

2-3- نشأة وتطور الدراسات الثقافية:

من المعلوم أن الدراسات الثقافية ظهرت في القرن التاسع عشر أو قبل تلك الفترة بكثير في ظل العلوم الإنسانية (علوم الاجتماع، الأنثربولوجيا، علم النفس، التاريخ، الفلسفة...). وذلك مع انبثاق الثورة الصناعية. هذا وقد انتشرت الدراسات الثقافية بشكل متميز في الغرب سنة 1964، وذلك مع تأسيس مركز بيرمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة وبروز مدرسة فرانكفورت في الأبحاث الثقافية ذات الطابع النقدي والسوسيولوجي، لتنتشر الدراسات الثقافية بشكل موسع في التسعينات في مجالات عدة بعد أن استفادت من البنيوية وما بعد البنيوية وتشكّلت على إثرها نظريات ومذاهب وتيارات، ومدارس واتجاهات، ومناهج نقدية وأدبية. وظهرت في الغرب مجموعة من الدراسات الثقافية مع رولان بارت، ميشال فوكو، بيار بوديو، إدوارد سعيد، هومي بهابها.... وقد عرفت الدراسات الثقافية انتشارا واسعا واهتماما كبيرا في التسعينات على الرغم من أنها بدأت منذ عام 1964م، مع تأسيس مجموعة بيرمنغهام تحت اسم:

.Birmangham center for contoporary cultur studies [1]

ويقول فنسنت ليتش Vensent Litch عن الدراسات الثقافية أنها حركة طارئة على تاريخ طويل للنقد الثقافي «يعد التشكل الحديث نسبيا للدراسات الثقافية، لاسيما في بريطانيا خلال السبعينيات من القرن العشرين، لحظة تمأسس وازدهار بارزة في التاريخ الطويل للنقد الثقافي...»[2]، وبهذا فإن الدراسات الثقافية حسب فنسنت ليتش هي مرحلة بارزة ظهرت لتقص النقد من تمركزه وتقوقعه داخل أطر النص، وعدم قدرته على الخروج خارجه وربطه بالثقافات الخارجية، فأطلقت صراحه ومنحت له حرية النظر إلى النص من زوايا مختلفة.

اهتمت الدراسات الثقافية بمجموعة من العناوين والقضايا البارزة مثل ثقافة العلوم، والتكنولوجيا والمجتمع، الرواية التكنولوجية والخيال العلمي، وثقافة الصورة والميديا وصناعة الثقافة، والثقافة الجماهيرية، والأنثربولوجيا

[1] عبد الله الغدامي: "النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005، ص 19.

[2] ميغان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص 308.

الرمزية المقارنة، والتاريخانية الجديدة، ودراسات سياسة العلوم، الدراسات الاجتماعية، الاستشراق، خطاب ما بعد الاستعمار، نظرية التعددية الثقافية، والدراسات النسوية والجنسوية ونظريات الشذوذ، وثقافة العولمة. [1]

شهدت هذه الدراسات تطورات عديدة، مواكبة في ذلك عدة مناهج ونظريات، لتتشكل مع ذلك تيارات نقدية متنوعة المبادئ والاهتمامات، لكن هناك عنصر مشترك بين هؤلاء وهو توظيف آليات تحليل الخطاب، ويعتبر التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع والأدبية والنقدية أهم الركائز والمصادر التي اشتقت المدرسة منها نظريتها، فقد كان هناك الكثير من النقد الموجه إلى هاته الدراسات، لكن في مقابل هذا ظهرت تيارات أخرى تأخذ النقد والنظريات الثقافية إلى آفاقها العميق، وأثنت على فضل الدراسات الثقافية، وذلك من خلال اهتمامها بالمهمل والهامشي ونقد أنماط الهيمنة «مما فتح أبوابا من البحث ذي الاتجاه الإنساني النقدي الجريء والديموقراطي»، [2] مهمتها بذلك مخاطبة الأقليات، أي الاهتمام بالطبقة المهمشة في المجتمع في مواجهة الخطاب المنتمي إلى الطبقة الراقية، محاولة منها إبراز أهمية خطاب الطبقة المهمشة في المجتمع وإعطاء قيمة له، وذلك بمواجهة كل المحاولات التي تسعى إلى إخفاء هذا الخطاب والتقليل من أهميته.

ومنه فإن الدراسات الثقافية مجال واسع متفتح على مجموعة من العلوم والثقافات، حيث تشمل العلوم الاجتماعية والسياسية والأدبية والعلوم الإنسانية في شتى المراحل التاريخية في مرحلة الكولونيالية وما بعدها.

فهي تدرس كل ما يمكن أن يكون هامشيا دون اكتراثها بأعراف المؤسسة الأكاديمية، وتسعى إلى تحويل الثقافة الهامشية إلى ثقافة مركزية يكون لها مكانة وأهمية كبيرة، ويمكن أن يكون معترف بها من طرف المؤسسة.

ويمكن القول بأن الدراسات الثقافية «تنطلق من موقع المعارضة والاختلاف السائد الثقافي، والملاحظ أن كثيرا من ممارسيها وأعلامها من الملونين، أو الأوربيين القادمين من قارات وأماكن أخرى، وبما أنها تيار معارضة وليست سلطة، فإن محتواها النقد التحليلي/ النقد الثقافي دائما يكون حاضرا» [3]، فهي تقوم بتوجيه محتواها إلى الجمهور العام دون تعيين أو تخصيص.

---

[1] بعلي حفناوي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص 20.

[2] عبد الله الغدامي: "النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، ص 20.

[3] بعلي حفناوي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص 21.

3- أهم أعلام الدراسات الثقافية الغربية:

لقد برزت في الساحة النقدية الغربية مجموعة من الأسماء البارزة في مجال الدراسات الثقافية، حيث ساهموا في تطور وازدهار الثقافة الغربية في شتى المجالات، وفيما يلي سنتطرق إلى أبرز هؤلاء الأعلام الذين برزوا بشكل كبير في مجال الدراسات الثقافية الغربية.

أ- فنسنت ليتش Vensent Litech: هو أول من أطلق مصطلح النقد الثقافي على نظرية ما بعد الحداثة، حيث يعدّ ليتش أول من بلور منهجيا مصطلح النقد الثقافي، وذلك من خلال كتابه "النقد الثقافي: نظرية الأدب لما بعد الحداثة" سنة 1992، حيث يقول: "إنّ الدراسات الثقافية حركة طارئة على تاريخ طويل من النقد الثقافي يعدّ التشكل الحديث نسبيا للدراسات الثقافية، لاسيما في بريطانيا خلال السبعينيات من القرن العشرين، لحظة تأسس وازدهار بارزة في التاريخ الطويل للنقد الثقافي". [1] كما اهتم بدراسة الخطاب في ضوء التاريخ والسوسيولوجيا والسياسة والمؤسساتية ومناهج النقد الأدبي، وتستند منهجية "ليتش" في التعامل مع النصوص والخطابات ليس من الوجهة الجمالية، بل تتعامل معها من خلال رؤية ثقافية تستكشف ما هو غير مؤسساتي وما هو غير جمالي.

ب- ستيوارت هول Stiwart Hawl: هو عالم اجتماع وناقد أدبي، انضم إلى مركز الدراسات الثقافية المعاصرة، منذ أسسه "هوغارت" بجامعة برمنغهام، وقد أمدّ هول حقل الدراسات الثقافية بتأثيرات ماركسية محورة أو مطولة، وقد ظلّ هول مؤمنا بضرورة أن يكون الحقل من الدراسات ارتباط وتأثير في الواقع. فالقيمة الحقيقية عنده للمعرفة والفكر، تتمثل في مقدار تفاعلها وتأثيرها على المجتمع. [2] وقد كان أساس نظرية ستيوارت هول في الدراسات الثقافية أن تكون تعبيرًا عن المجتمع والواقع الحقيقي المعاش من أجل أن تكون لها قيمة حقيقية.

---

[1] ميجان الرويلي وسعد البازعي: "دليل الناقد الأدبي"، ص 308.

[2] حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص 25.

ج- إدوارد طومبسون edward tompson : هو مؤرخ وناقد ثقافي وناشط في مجال نزع السلاح النووي، ويرى أن الثقافة لا تفهم من خلال تجارب الفائزين وحدهم، بل من تجارب الفائزين والخاسرين وإسهاماتهم معًا، فلا يمكن أن نصدر أحكاما بشأن الناجحين فقط، بينما نهمل غيرهم، وطومبسون يفضل ثقافة الطبقة العاملة وينحاز لها، ويضعها في مرتبة متقدمة من اهتمامات الدراسات الثقافية. [1]

د-آرثر آيزابرغArthur Ayzabarger: هو أستاذ فنون الاتصالات الإلكترونية والنشر بجامعة سان فرانسيسكو، وصاحب كتاب "النقد الثقافي- تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية-"، وكاتب غزير الإنتاج في مجال الثقافة الجماهيرية الشعبية، ومن الواضح أنه قدم للنقد الثقافي من حقل علوم الاتصال وليس من خلفية أدبية نقدية خالصة، وهذا مؤشر أوّل يساعد على فهم توجهات النقاد الثقافيين الذين انطلقوا من إعادة ربط النقد الأدبي بتفاعلات الثقافة من مفهومها الفكري والاجتماعي، سعى آرثر آيزبرغر إلى تفسير وشرح النقد الثقافي والدراسات الثقافية في مصطلحات مبسطة في كتابه. [2]

هـ- ريتشارد هوغارت Richard Hoghert: مؤسس مركز الدراسات الثقافية المعاصرة في جامعة برمنغهام، وهو المركز الذي انطلقت منه الدراسات الثقافية، لتأسيس مراكز على شاكلته في أنحاء مختلفة من العالم، ويعدّ كتابه "فوائد القراءة والكتابة" كتابًا تأسيسيًا في هذا المجال. [3]

و- أشيش ناندي achish nandi : عالم نفس وناقد ثقافي، وهو الأب الحقيقي للدراسات الثقافية في جنوب آسيا، طور هذا الحقل ليصبح نشاطًا محليًا يمكن ممارسته في شبه القارة الهندية في مجالات المعرفة والهوية، وهو يعدّ نفسه من ضحايا التاريخ، ومجموعة الأفكار الغربية مثل: العلم، العقلانية، التنمية، الدولة المستقلة. [4]

---

[1] حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص 25.

[2] المرجع نفسه، ص 26.

[3] المرجع نفسه، ص 25.

[4] المرجع نفسه، ص 26.

4- الدراسات الثقافية في النقد العربي المعاصر:

عرف النقد العربي المعاصر مع نهايات القرن الماضي انفتاحا كبيرًا على مجموعة من الدراسات النقدية، التي كانت تحاول تجاوز مرحلة البنيوية التي كانت سائدة في تلك المرحلة، ويعود ذلك إلى ظهور مرحلة جديدة أطلق عليها مرحلة ما بعد البنيوية. حيث يعدّ النقد الثقافي أو الدراسات الثقافية من إفرازات النظرية العربية المعاصرة التي عرفها النقاد العرب من خلال مجموعة من الدراسات التي حاولوا بها إخراج النقد العربي من دوامة التيه النقدي.

وفيما يلي سنحاول التطرق إلى أهم النقاد العرب الذين برزوا في هذا الميدان (الدراسات الثقافية) مع ذكر أعمالهم ودراساتهم.

أ- عبد الله الغدامي: يعتبر من أهم النقاد العرب الذين انبهروا بالنقد الثقافي عند "ليتش"، في مجموعة من كتبه النظرية والتطبيقية مثل كتاب "النقد الثقافي قراءة في الأنساق العربية"، وكتاب "تأنيث القصيدة"، و"الخطيئة والتكفير"، وكتاب "ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية". فمن خلال هذا الأخير دخل فيه في صراع نقدي مع الدكتور عبد النبي اصطيف حول مبادئ النقد الثقافي، وقد تبيّن لنا مدى اتساعه بين الكاتبين، واختلاف وجهة نظرهما شكل طبيعي، فالأول يدافع عن النقد الثقافي والثاني يدافع عن النقد الأدبي. [1]

فقد كانت دراسة الغدامي الموسومة بـ "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، أول دراسة عربية تتبنى نظرية النقد الثقافي، حيث اقتصر على الممارسة التطبيقية، ولم يسعَ إلى التنظير، بل أجّله وخصّص له فصلا في كتابه "النقد الثقافي" واصطلح عليه "الذاكرة الإصطلاحية" ،وهي المرجعية الغربية الأولى لمشروعه، افتتحها بذكر النقلات النوعية في مجال النقد من "ريتشاردز" إلى "رولان بارث" إلى "ميشال فوكو" وإسهامه الكبير في تغيير النظرة السطحية إلى الخطاب المتضمن بالضرورة للأنساق الثقافية المضمرة، ثم يصل إلى "جوناثان كولر" Jonathan Culler والدراسات الثقافية، الذي لاحظ أن أساتذة الأدب ينصرفون عن دراسة "ملتون" Milton إلى دراسة "مادونا".

[1] ينظر: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي رؤية جديدة، أعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة، ص89.

وتحدّث عن "كلنر" Killner ونقد الثقافة، الذي استفاد من مدرسة برمنغهام ومدرسة فرانكفورت في الدراسات الثقافية والتعددية الثقافية والنقد النسوي، ليطرح مفهوم عن نقد ثقافة الوسائل، الذي يتمحور حول تدخل الوسائل في تشكيل أفعال الاستقبال؛ أي في تصنيع التلقي. [1]

وتوجد مجموعة من الدراسات، إذ أن كتاب "الخطيئة والتكفير" الصادر سنة 1985 هو فاتحة مدوناته النقدية الألسونية التي حملت بذرة النقد الثقافي في طياتها، من خلال تناول الغدامي لأدب "حمزة شحاته"

كما اهتم بالسياق ورأى أنه لا يمكن قراءة النص وتفسيره بمعزل عنه لأن: «إدراكه عملية ضرورية لتذوق النص وتفسيره، وهذه هي معرفة (الجنس الأدبي) للنص، وكل عمل أدبي تختلف قيمته بناءا على جنسه وسياقه»[2]، أي أن عملية إدراك سياق المعنى هي عملية أساسية لفهم النص وتفسيره، وأيضا تجدر الإشارة إلى أنّ الأعمال الأدبية تختلف فيما بينها كل حسب جنسه وسياقه، أي أن فعل الاختلاف في الأجناس يؤدي بالضرورة إلى الاختلاف في السياق والمعنى، وهذا ما يؤكد عليه النقد الثقافي.

وفي كتاب "ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية" الصادر سنة 1992، يخطو الغدامي خطوة واضحة نحو النقد الثقافي خاصة بتحليله لقصيدة محمود درويش "عابرون في كلام عابر"، حيث يقول: «لقد جاءت هذه المقالات استجابة لأسئلة تتوارد عليّ منذ صار مشروعي الثقافي مرتبطا بمنهجية نقدية واضحة المعالم، وتقوم هذه المنهجية على (النقد الألسوني) أو (نصوصية) معتمدا بذلك على ما يعرف بنقد ما بعد البنيوية، وهو – عندي– نقد يأخذ من البنيوية ومن السيميولوجيا ومن التشريحية منظومة من المفهومات النظرية والإجرائية، تدخل كلها تحت مظلة الوعي اللغوي بشروط النص وتجلياته التكوينية والدلالية» [3]، وفي هذا تصريح بأساسية امتلاك زاد معرفي للتمكن من الشروع في النقد الثقافي.

---

[1] عبد الله الغدامي: "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، ص 21–22.

[2] عبد الله الغدامي: "الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية"، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 1998، ص 13.

[3] عبد الله الغدامي: "ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية"، دار سعادة الصباح، الكويت، ط2، 1993، ص 9–10.

كما نجد في كتاب "المشاكلة والإختلاف، قراءة في النظرية العربية وبحث في الشبيه المختلف"، والصادر سنة 1994، القائم أساسا – كما هو واضح في العنوان- على ثنائية المشاكلة والاختلاف، فالمشاكلة هي تفاعل المعنى بالشكل، لكن دون دلالة، أما الاختلاف فهو تفاعل المعنى بالشكل وبالدلالة.

ويبيّن الغدامي في كتابه هذا أن الإبداع لا يمكن أن يتأسس على المطابقة والمشاكلة، ولو شاكل النص واقعه الخارجي وتحوّل إلى وثيقة وصفية، وصار خطابا علميا وتاريخيا، ليست المعضلة هنا لدى المبدعين ولكنها فحسب لدى المفكرين والنقاد، فتأثيرهم قد أفسد النشاط القرائي وأثر على علاقة القارئ مع النص، وحدث ظلم كبير ضد التجديد والتحديث بسب ترصّد التصورات المشاكلة وغلبتها على الذهن الثقافي. [1]فهي دعوة إلى القيام بنقد ثقافي يعتمد التفسير والتأويل الجاد لاستنطاق دلالات النصوص.

إنّ ما يميز مشروع النقد الثقافي عند عبد الله الغدامي هو كثرة ما كتب حوله من دراسات ومقالات، وما أقيم حوله من مؤتمرات وندوات وجلسات علمية توزعت الآراء فيها بين مؤيّد له ومعارض بشدة لما قاله.

ونرى أن ما جعل النقاد العرب يعارضون مشروع الغدامي، أنه – حسب رأيهم- قد ركّز بحثه على إبراز عيوب الخطاب الشعري الثقافي العربي الذي كرس في خطاباتنا وذواتنا التشعرن. وقد توجه بعض النقاد العرب إلى تبني مجال الجماليات الثقافية، محاولين البحث داخل النصوص الأدبية على الأنساق الثقافية في وظيفتها الجمالية بدل البحث في عيوبها.

ب- إدوارد سعيد edward said : الناقد الفلسطيني الأصل الأمريكي الجنسية ظاهرة فريدة من نوعها، تخطّى كل الحواجز ليبدع في مجالات شتّى، فهو الناقد الفذ، الموسيقي المتمكن، والمدرس والمحاضر المميز، والمفكر العظيم. إنه كما يقول كمال أبو ديب عنه: «عظيم في اللغة الجليلة التي يكتب بها، وفي قوة فكره، والشبوب العاطفي الذي يتوهج من جمله وعباراته متجاوزا حدود الجامعية الجامدة، لكن متحفظ بصرامتها المعرفية وشروط تكوينها، وهو عظيم أيضا في تأويلاته الجديدة ونظرياته المتعلقة بالعالم، وحركة المجتمعات الإنسانية، وحركة التاريخ والثقافة والأدب». [2]

---

[1] ينظر: عبد الله الغدامي: "المشاكلة والإختلاف، قراءة في النظرية العربية وبحث في الشبيه المختلف"، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994، ص 7.

[2] إدوارد سعيد: "الثقافة والإمبريالية"، تر: كمال أبو ديب، دار الأدب، بيروت، لبنان، ط4، 2014، ص 13.

حيث تميز بغزارة إنتاجه وخصوبة فكره، ألف العديد من الكتب القيمة في مجالات الثقافة والفن والنقد والسياسة، إضافة إلى كثير من المقالات والحوارات والمقابلات التلفزيونية، فمكتبة إدوارد سعيد «غنية غناء يستوجب قراءة فكره وتمديد رؤاه الراشدة في ساحة الفكر النقدي، وعولمة الخطاب الثقافي التي ظل ينشدها في أسلوب علمي متزن يجمع بين لباقة الجدل مع الآخر والمنافحة مع الذات، ولا يخف على أحد براعته ونبوغه في حقل النقد المقارن، حتى أضحى واحدا من رواده في جامعة كولومبيا، كما لا ننسى فضله وأثره البليغ من خلال إضافته وإسهاماته الجديرة بالاهتمام في ميدان النقد الثقافي العالمي والدراسات الحضارية». [1]

بدأت ملامح مشروعه الثقافي في كتابه الأول "جوزيف كونراد رواية السيرة الذاتية 1966" متوجها بذلك مباشرة إلى الأعمال المتناوِلة لمعاناة المنفى وقضايا الغرباء المهمشين والمستعمرين، والمجتمعات العرقية ودسائس الإمبريالية، وكتابه الثاني "بدايات القصد والمنهج"، وكتاب "الاستشراق"، وكتاب "الثقافة والإمبريالية"، وكتاب "العالم والنص والناقد".

إنّ كتاب "العالم والنص والناقد" من المؤلفات المتميزة للمفكر إدوارد سعيد ألفه عام 1983، هو عبارة عن دراسات شاملة وعميقة في الأدب العالمي، تلبي حاجة ماسة لدى القارئ العادي المتخصص في الأدب والنقد، إضافة إلى ذلك دفاعًا عن الثقافة العربية، كما أنّ هذه الدراسات تقوم بتفحص العالم الدنيوي والمشكلات التي تقف حاجزا أمام النظرية النقدية المعاصرة.

إنّ المقدمة والخاتمة يمثلان محور الكتاب وخلاصة فكره ودعوته، تستخدم المقدمة والخاتمة مصطلحي النقد العلماني أو الدنيوي – كما جاء في الكتاب- النقد الديني الذي ينبه إليه إدوارد سعيد في الكتاب هو العلاقة الحميمية بين النص وموقعه في المجتمع، والواقع السياسي والاجتماعي بما فيه من قوة السلطة وقوة المقاومة، ويصر إدوارد سعيد على أن هذه القوى يجب أن تأخذ بعين الاعتبار في النقد والوعي النقدي، كما يحرص على تحريض القارئ في البحث عن العلاقة التي تربط الناقد وظروفه سواء كان ناقدا يمينيا أو يساريا طليعا أو تقليديا. [2]

---

[1] صالح فخري: "إدوارد سعيد: دراسة وترجمات"، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2009، ص 15.

[2] ينظر: إدوارد سعيد: "العالم والنص والناقد"، تر: عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 2000، ص107.

5- النقد ما بعد الكولونيالي (المصطلح والمفهوم):

تعتبر الدراسات ما بعد الكولونيالية من أهم النظريات الأدبية والنقدية التي تحمل الطابع السياسي والثقافي، لكونها تربط الخطاب بالمشاكل السياسية والاجتماعية والثقافية في العالم، كما تعمل هذه الدراسة الأدبية النقدية على استكشاف مواطن الاختلاف بين الشرق والغرب، وتحديد أنماط التفكير والنظر إلى الشرق والغرب، وتسمى هذه الدراسة أيضا (بالخطاب ما بعد الاستعماري)، حيث تهدف إلى تحليل كل ما أنتجته الثقافة الغربية باعتباره خطابا مقصديا، يحمل في طياته توجهات استعمارية إزاء الشعوب التي تقع خارج المنظومة الغربية، كما يوحي المصطلح لوجود استعمار جديد يخالف الاستعمار القديم لذا يتطلب هذا الاستعمار التعامل معه من خلال رؤية جديدة تكون رؤية موضوعية وعلمية مضادة، ويعرف سعد البازعي مصطلحي الخطاب الاستعماري ونظرية ما بعد الاستعمار (ما بعد الكولونيالية) قائلا: «يشير هذان المصطلحان اللذان يكملان بعضهما بعضا إلى حقل من التحليل ليس جديدا بحد ذاته، لكن معالمه الفكرية والمنهجية لم تتضح في الغرب إلا مؤخرا مع تكثف الاهتمام به وازدياد الدراسات حوله، يشير المصطلح الأول إلى تحليل ما بلورته الثقافة الغربية في مختلف المجالات، أما المصطلح الثاني "النظرية ما بعد الاستعمارية" فيشير إلى نوع آخر من التحليل ينطلق من فرضية أن الاستعمار التقليدي قد انتهى». [1]

وعليه فإن المصطلحان متعارضان تماما خاصة فيما يتعلق بقراءة التاريخ، فالبعض يرى أن مرحلة الاستعمار التقليدي قد انتهت، بينما يرى البعض الآخر أن الخطاب الاستعماري لا يزال قائم.

- **المصطلح والمفهوم**: تعد نظرية ما بعد الاستعمار أو نظرية ما بعد الكولونيالية من أهم النظريات التي رافقت مرحلة ما بعد الحداثة، لاسيما أن هذه النظرية ظهرت بعد سيطرة البنيوية على الحقل الثقافي الغربي، ولم تعرف طريقها للوجود في مجال النظرية السياسية إلا في أواخر السبعينيات من القرن الماضي.

[1] ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص 158.

وردت كلمة استعماري (كولونيالي) حسب قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية "مشتقة من كلمة "كولونيا" Colonia التي كانت تعني مزرعة أو مستعمرة، وأشارت إلى الرومانيين الذين استقروا في أرض أخرى إلا أنهم احتفظوا بجنسيتهم.

هذا التعريف يتجنب بشكل لافت النظر تمامًا أي إشارة إلى أناس آخرين سوى المستعمرين، والناس الذين ربّما كانوا يعيشون في تلك الأماكن من قبل، حيث تم تأسيس المستعمرات، ومن ثم فهو يفرغ كلمة استعمار من أي معنى من صدام بين الشعوب، أو لفتح أو سيطرة». [1]

إنّ نظرية "ما بعد الكولونيالية" أو "ما بعد الاستعمار" يتم تفسيرها من منظور ضيق، مرتهن بفترة تاريخية معيّنة عقبت زوال الاستعمار، أو الفترة التي عقبت الاستقلال السياسي الذي حصلت عليه الدول التي كانت واقعة تحت وطأة الاستعمار الأجنبي، والذي منح أبناءها فرصة التحكم في مقدوراتها. [2]

وعبّرت كل من "هيلين جيلبرت وجوان تومكينز" في هذا السياق في كتاب "الدراما ما بعد الكولونيالية (النظرية والممارسة) بقولهما: «إنّ مصطلح ما بعد الكولونيالية غالبا ما يتم تعريفه على نحو ضيّق للغاية فالمصطلح – وفقا للاشتقاق اللغوي الصارم– كثيرا ما يساء فهمه على أنّه مفهوم زمني يشير إلى الفترة الزمنية التي أعقبت زوال الاستعمار، أو الفترة التي عقبت الاستقلال السياسي، الذي تتحرّر دولة ما بموجبه من حكم وتستبدله بحكومة أخرى.

لا يعبّر مفهوم ما بعد الكولونيالية عن تعاقب نمائي ساذج يبطل بموجبه الكولونيالية، ويحلّ محلها، وإنّما تشتبك ما بعد الكولونيالية مع وتناوئ كل من خطابات الكولونيالية وبنيات القوة والترتيبات الاجتماعية». [3]

إنّ الاستعمار يعمل على نحو مخاتل، فهو يخترق ما هو أكثر من الدوائر السياسية، ويتجاوز مجرّد الاحتفال بالاستقلال. وهذا يعني أن الاستعمار لم يعد يقنع بجدوى السيطرة العسكرية والسياسية بقدر اعتماده الآن على

---

[1] آنيا لومبا: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007، ص 17.

[2] نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع–لونجمان، ط1، 2003، ص 548.

[3] هيلين جيلبرت وجوان تومكينز: "الدراما ما بعد الكولونيالية (النظرية والممارسة)"، تر: سامح فكري، د ط، 2000، ص 3.

السيطرة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية، وتقول هيلين جيلبرت وجوان تومكينز: «تعمل آثار الاستعمار على تشكيل كل من اللغة والتعليم والدين والحساسية الفنية، بل وتشكيل الثقافة الشعبية على نحو متنام، وعلى هذا الأساس وجب على نظرية ما بعد الكولونيالية أن تتجاوب مع ما هو مجرّد مرحلة ما بعد الاستقلال». [1]

أمّا فيما يخصّ مصطلح "النظرية ما بعد الكولونيالية" فيعني نوع آخر من التحليل ينطلق من فرضية أن الاستعمار التقليدي قد انتهى، وأنّ مرحلة من الهيمنة تسمّى أحيانا المرحلة الإمبريالية أو الكولونيالية- كما عربها بعضهم- قد حلت وخلقت ظروفا مختلفة. [2]

فالنظرية ما بعد الكولونيالية تسعى إلى دراسة كل ما أنتجته الثقافة الغربية، وقد حدد "آلان لوسون" ما بعد الكولونيالية بأنّها حركة تاريخية وتحليلية ذات باعث سياسي يتصارع مع الكولونيالية ويقاومها بهدف إبطالها على المستويات المادية والتاريخية والفكرية والثقافية والسياسية والتعليمية والنصية، وهي نظرية أدبية لا تحدها بالضرورة أطر زمنية لأنها تنشر توجهاتها وتياراتها عبر الزمان والمكان في سياق شبه متناغم من المسرحيات والروايات والقصائد الشعرية والأفلام، والتي هي بمثابة نصي/ ثقافي عن مقاومة الاستعمار في شتى صوره. [3] ويعني هذا أن نظرية ما بعد الكولونيالية تعتمد على الصّراع السياسي للكولونيالية في مستوياتها المادية، بل أوسع من هذا.

استخدم مصطلح "ما بعد الكولونيالي" في البداية للإشارة إلى أشكال التفاعل الثقافي داخل المجتمعات الكولونيالية في الدوائر الأدبية، وكان هذا جزءا من محاولة لتسييس وتركيز اهتمامات مجالات مثل: أدب الكومنولت ودراسة ما يعرف بالآداب الجديدة الإنجليزية، والتي بزغت في أواخر ستينيات القرن العشرين، وبعد

---

[1] هيلين جيلبرت وجوان تومكينز: "الدراما ما بعد الكولونيالية (النظرية والممارسة)"، تر: سامح فكري، د ط، 2000، ص 3.

[2] ميجان الرويلي وسعد البازعي: "دليل الناقد الأدبي"، ص 158.

[3] نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، ص 549-550.

ذلك استخدم هذا المصطلح على نطاق واسع للدلالة على التجربة السياسية واللغوية والثقافية لمجتمعات كانت مستعمرات أوروبية في السابق. [1]

ويعدّ إدوارد سعيد من أوائل الذين صاغوا لبناء نظرية ما بعد الاستعمار في كتابه "الاستشراق"، فقد كان هذا الأخير دافعًا قويا لجملة من النقاد والمفكرين للكتابة حول ما طرحه إدوارد سعيد من أفكار، وما أثاره من قضايا في كتاب "الاستشراق" و"الثقافة والإمبريالية" الذين نلتمس فيهما معالم هذه النظرية.

تطورت النظرية ما بعد الكولونيالية بعد صدور كتاب "الاستشراق"، وصارت مجالا أكاديميا صاعدا، إذ اتسع مدها وصارت تغطي بتساؤلها الدائم عن العلاقة بين السلطة والمعرفة، وموضوعات مختلفة منها تاريخ الغزوات الاستعمارية، والنضال المناهض للاستعمار والتشكيلات القومية ما بعد الكولونيالية. [2]حيث واجهت النظرية عددا من المشاكل والصعوبات بشأن تقديم تعريف دقيق لها أو عند تقديم مدى فائدتها في فهم الحركات النضالية والتركيبات الاجتماعية في البلاد المستعمرة.

ويقول دوغلاس روبنسون عن مصطلح ما بعد الكولونيالية: "دراسة جميع الثقافات/ المجتمعات/ البلدان/ الأمم، من حيث علاقات القوة التي تربطها بسواها من الثقافات، المجتمعات، البلدان، الأمم، أي الكيفية التي أخضعت بها الثقافات الفاتحة والثقافات المفتوحة لمشيئتها، والكيفية التي استجابت بها الثقافات المفتوحة لذلك القسر، أو تكيفت معه، أو قاومته، أو تغلبت عليه.

وهنا تشير الصفة "ما بعد الكولونيالية" إلى نظرتنا في أواخر القرن العشرين إلى علاقات القوة السياسية والثقافية. أما الفترة التاريخية التي تغطيها فهي التاريخ كله". [3]

---

[1] بيل أشكروفت وآخرون: "دراسات ما بعد الكولونيالية- المفاهيم الرئيسية-"، تر: أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص 283.

[2] ك. نلوولف وآخرون: "موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي القرن العشرون المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية"، تر: إسماعيل عبد الغني وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص 339.

[3] دوغلاس روبنسون: "الترجمة والإمبراطورية- نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية"، تر: ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص 28.

يشمل هذا التعريف العلاقات الكولونيالية في كل أنحاء العالم، وفي هذا المستوى تبدو النظرية "ما بعد الكولونيالية" على أنها طريقة في النظر إلى القوة بين الثقافة والتحولات النفسية، الاجتماعية التي تحدثها ديناميات الهيمنة.

أما بالنسبة للنقد "ما بعد الكولونيالية"، وقد تمثل في ذلك النقد الذي واجهته الدراسات ما بعد الكولونيالية إلى التنوير بوصفه مكونا أساسيا من الثقافة العربية المعاصرة، التي أدت إلى الاستعمار وإلى المركزية في الفكر المعاصر. ويتمثّل النقد "ما بعد الكولونيالية" في الممارسات الكتابية التي تضع كل ما تقدمه النظرية الأوروبية من الأسلوب واللغة وأنظمة المعرفة تحت المسائلة والشك، والفحص الدقيق. حيث أن: «الاستعمار الأوروبي في دفعة العالم الكولونيالي، إلى هوامش تجربة المركز قد دفع الوعي إلى أبعد من الحد الذي يمكن فيه قبول المركزية الأوروبية الأحادية، في كل مجالات الفكر دون المسائلة التي أفلحت في البداية في تهميش العالم الكولونيالي، قد انقلبت على نفسها وراحت تدفع هذا العالم إلى مواقع يمكن النظر منه إلى كل تجربة على أنها غير متمركزة». [1]

وهذا يعني أن ما بعد الكولونيالية تسعى بشكل أساسي إلى تقويض ما يعرف بالأحادية المركزية والأوروبية على وجه التخصيص، ولعلّ النظرة الهامشية التي عانت منها الشعوب المستعمرة طيلة سنوات قد جعلت منها مصدر قوة لا تضاهى. [2]

5-1- نشأة الخطاب ما بعد الكولونيالي:

إنّ النظرية ما بعد الكولونيالية (ما بعد الاستعمار) باعتبارها ثورة فكرية ضدّ كل أنواع القهر والظلم والاضطهاد الإنساني جاءت استجابة لعدة ظروف، وعلى يد طبقة علمية متنورة آتية من آفاق البلدان المستعمرة أو التي عرفت الاستعمار، نشأت وتشكّلت كما يوضح قاموس أكسفورد للعلوم الاجتماعية كما أورد الناقد رامي أبو شهاب: [3]

---

[1] حفناوي بعلي: "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن"، ص 107.

[2] المرجع نفسه، ص 107.

[3] بوحاريش نادية: "النظرية ما بعد الكولونيالية أرضية الفكر المتنور"، الماهر للطباعة والنشر والتوزيع، سطيف، ط1، 2019، ص 57.

«نشأ خطاب ما بعد الكولونيالية في أعمال جماعة دراسات التابع القائمة على التاريخ الهندي، متأثرين بأعمال التقاليد الماركسية الإنجليزية لتدوين التاريخ، وكانوا مهتمين بالتعبير عن المستعمرين (الذين وقع عليهم الاستعمار) أكثر من تبني وجهة نظر المستعمِر (الذي قام بالاستعمار) وسلطتهم». [1]

ومنه فإن خطاب ما بعد الكولونيالية يعتمد على أعمال جماعة دراسات التابع التي تهتم بالتاريخ الهندي، وكذلك الاعتماد على الخلفية الماركسية من أجل كتابة التاريخ وتدوينه، كما سلطوا اهتمامهم بشكل أكبر على الفئة المستعمَرة التي وقع عليها الاستعمار أكثر من اهتمامهم بالفئة المستعمرة التي قامت بالاستعمار.

ويرى "رامي أبو شهاب" أنّ الهدف من الخطاب- كما يشير هذا القاموس- «هو إيصال صوت المضطهدين في خطاب هيمن عليه المستعمِر، بالإضافة إلى التنويه بدور كل من "فرانز فانون" و"إدوارد سعيد" وأفكار القومية السوداء في الولايات المتحدة، لاسيما في عملية التأسيس في حين يشير قاموس روتلدج إلى ظهور الخطاب في الدراسات الأدبية أواخر عام 1970، باحثا في الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية لتركة ما بعد الاستعمار منوّها بأثر "إدوارد سعيد" وكتابه "الاستشراق" 1978» [2].

من خلال هذا القاموس يتضح لنا بأن ظهور الخطاب ما بعد الكولونيالي في الدراسات الأدبية راجع إلى أواخر سنة 1970، هذا التاريخ الذي تزامن مع صدور كتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد، من خلال تطرقه إلى الجوانب الثقافية والسياسية والاقتصادية التي كانت سببا في ظهور هذا الخطاب.

وقد اتجه مؤلفوا كتاب "دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية" لبيل أشكروفت وآخرون، نفس الاتجاه الذي ذهب إليه قاموس روتلدج في تحديد نشأة خطاب ما بعد الكولونيالية، حيث اعتبروا سنوات السبعينات البداية الأولى لاستخدام مصطلح "ما بعد الكولونيالية" من طرف نقاد الأدب.

---

[1] رامي أبو شهاب: "الرسيس والمخاتلة: خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر النظرية والتطبيق"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013، ص 49-50.

[2] المرجع نفسه، ص 50.

حيث أشادوا بالدور الريادي لكتاب إدوارد سعيد "الاستشراق" في ظهور هذا المصطلح "ما بعد الكولونيالية". [1]

كما تطرّق الناقد "خالد سليمان" في مقالة له بعنوان "في أدب ونقد ما بعد الكولونيالية" إلى بدايات ظهور الخطاب النقدي، حيث يقول: «على الرغم من أن المصطلح post colonialism لم يستخدم بلفظه إلا في عام 1985م، وكذلك من قبل الناقد الأسترالي سيمون ديرونج (Simon during) في مقالة له بعنوان "بلوغ اليابسة" (landfall)، إلا أنّ الدراسات ما بعد الكولونيالية كانت قد بدأت في التشكل والظهور منذ بداية العقد الخامس من القرن العشرين». [2]

فبدايات هذا الخطاب "المـا بعد كولونيالي" كما يرى الدارسون يمكن إرجاعها أو وصلها ببدايات العقد الخامس من القرن العشرين حين كانت المؤسسة الأكاديمية الغربية لصيقة بأعمال أدبية معينة مثل مسرحية "صموئيل بيكيت Samuel beckett الشهيرة. "في انتظار جودو waiting for godot ومتماشية مع تنظيرات رولان بارت، وخاصة كتابه "الدرجة الصفر للكتابة" الذي صدر عام 1952، وفي ذلك العقد حدثت مجموعة من التحولات السياسية والاجتماعية يراها الدارسون على أنها كانت الحاضنة التي احتضنت ميلاد هذا الخطاب. [3]

وعليه يمكن إرجاع بدايات هذا الخطاب "المابعد كولونيالي" إلى بدايات العقد الخامس من القرن العشرين، وارتبط هذا الظهور بمجموعة من الأعمال الأدبية مثل تنظيرات رولان بارت، حيث يرى الدارسون أن التّحولات السياسية والاجتماعية التي حدثت في هذا العقد كانت سببًا في ظهور هذا الخطاب.

قياسًا على ما سبق يمكن القول بأنّ نشأة الخطاب "ما بعد الكولونيالي" ومجموعة الدراسات التي تدور حوله، تعدّ من المسائل التي أحدثت خلافًا بين النقاد والباحثين، حيث يرجع الناقد "خالد سليمان" بداية استخدام

---

[1] ينظر: بوحاريش نادية: النظرية ما بعد الكولونيالية، ص 59.

[2] خالد سليمان: في أدب ونقد ما بعد الكولونيالية، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج54، م14، ديسمبر 2004، ص 96-97.

[3] المرجع نفسه، ص 97.

هذا المصطلح "ما بعد الكولونيالية" بلفظه انطلاقا من سنة 1985، على عكس التحديدات السابقة الذكر التي تعتبر نهاية السبعينات هي بداية نشأة هذا الخطاب، في حين كان العقد الخامس من القرن العشرين بداية تشكّل وتبلور ما يعرف بالدراسات ما بعد الكولونيالية، وهذا نتيجة لعدة تحولات قامت باحتضان خطاب ما بعد الاستعمار، وأهمها ظهور مجموعة من الكتّاب في هذا المجال، من أهمهم "فرانز فانون" من خلال مؤلفاته التي كانت بمثابة الدّافع والحافز الذي ساهم في ظهور هذا الخطاب من خلال كتابه الشهير "بشرات سوداء أقنعة بيضاء". [1]

5-2- أعلام النقد ما بعد الكولونيالي:

لقيت النظرية ما بعد الكولونيالية اهتمام مجموعة من الكتاب والنقاد والمثقفين، فكان تأثيرهم واضحًا على الساحة النقدية سواء الغربية أو العربية. حيث سنتطرق في هذا العنصر إلى أربعة رواد فاعلين هم: "فرانز فانون"، "إدوارد سعيد"، "هومي بهابها"، "غاياتري سبيفاك".

أ- فرانز فانون franz fanon : يعتبر فرانز فانون من الكتاب السابقين الذين ارتبطوا بنظرية ما بعد الاستعمار، فهو المبشر الأول لهذه النظرية، لدى يطلق عليه الأب الروحي للنظرية ما بعد الكولونيالية، وذلك من خلال كتابه الأشهر الموسوم بـ "معذبو الأرض"، فقد اكتسب هذا الكتاب أهمية كبيرة، فهو «أقرب إلى القدسية بالنسبة إلى مثقفي الدول التي مازالت تدعى بدول العالم الثالث، غير أنّه تمّ تجاهل أو إساءة فهم هذا الكتاب من قبل دول العالم الأول». [2] فنجد في هذا الكتاب يعلن فانون أنّ العنف هو السبيل الأوحد لفكّ الاستعمار.

يعتبر فرانز فانون: «نبيّ العالم الثالث، وبطل رومنسي لتفكيك الاستعمار، أما في دراسات ما بعد الاستعمار فإنّ مكانته كمنظر عالمي ناتجة عن كتاباته النقدية الأخيرة عن الاستعمار وما بعد الاستعمار». [3]

---

[1] ينظر: بوحاريش نادية: النظرية ما بعد الكولونيالية، ص 65-66.

[2] حفناوي بعلي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، ص 96.

[3] آنيا لومبا: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، ص 50.

ارتبطت أعمال فرانز فانون الأساسية بالعنصرية والهيمنة الاستعمارية والتحليل السيكولوجي للمستعمِر وأثرها على المستعمَر، خاصة في أعماله «ففي النصوص يلملم فانون أطراف الاستبصارات التي استمدها من دراسته الإكلينكية لآثار الهيمنة الكولونيالية على نفسية المستعمر وتحليله الماركسي للسيطرة الاقتصادية والاجتماعية». [1]

والملاحظ في هذه الأعمال أنه تظهر لنا تداخلات، كون الناقد محللا نفسيا وناشطا معارضا للاستعمار، ففي كتابه "بشرات سوداء أقنعة بيضاء" اهتم بدراسة نفسية المسحوقين من عنصرية وسيطرة الاستعمار. وفي كتابه "المعذبون في الأرض" ركز انتباهه على ثورة المسحوقين.

وعلى مدى التحليل التاريخي للطبيب النفساني، لم يفقد رؤيته لأهمية الوعي الذاتي ودوره في خلق الإمكانيات من أجل السيطرة المهيمنة على الذات المستعمرة والمجتمع الكولونيالي الجديد الذي تلى الاستقلال السياسي. [2]

ب–إدوارد سعيد edward said : يعتبر المفكر الفلسطيني الأصل أمريكي الجنسية "إدوارد سعيد" من رواد النظرية ما بعد الكولونيالية وأحد الأقاليم الثلاثة لها، وهو إضافة على "هومي بهابها" و"جياتري سبيفاك" الثالوث المقدس للنظرية. [3]

والمؤسس الحقيقي لنظرية ما بعد الاستعمار في الحقلين الثقافيين الغربي والعربي على حدّ سواء.

عرف إدوارد سعيد بمناصرته لقضايا الشعوب المستعمرة الواقعة تحت وطأة الاستعباد والظلم والعنف من الدول المستعمرة، وبنضاله المستمر بالحديث عن قضايا اللاجئين والمنفيين خاصة القضية الفلسطينية.

أصدر كتابه التأسيسي "الاستشراق" عام 1978، حيث وضع فيه اللبنات الأولى لهذه النظرية، فقام بتفكيك الخطاب الاستشراقي وتشريح أدبياته ومقولاته المتراكمة حول الشرق منذ عقود. وقدم تعريفات كثيرة

---

[1] بيل أشكروفت وآخرون: دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، ص 175.

[2] المرجع نفسه، ص 177.

[3] ينظر: مديحة عتيق: ما بعد الكولونيالية مفهومها أعلامها وأطروحاتها، مجلة أبحاث ودراسات، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، ع 08، مارس 2015، ص 16.

للاستشراق فجاء في أحد تعريفاته: «هو طريقة للوصول إلى تلاؤم مع الشرق مبنية على منزلة الشرق الخاصة في التجربة الأوروبية الغربية، فالشرق ليس لصيقا بأوروبا وحسب، بل إنه كذلك موضع أعظم مستعمرات أوروبا، وأغناها وأقدمها، ومدار حضارتها ولغاتها». [1] ويوضح هذا التعريف قيمة الشرق بالنسبة للغرب، فهو جغرافيا ماضيه الاستعماري، وتاريخيا جغرافيته الاستعمارية، هو وجهه المناقض وصورته المقلوبة، وخصمه العكسي، الشرق صنعة الغرب كي يحدد ذاته ويعرف نفسه.

ج- هومي بهابها homy bhabha : هومي بهابها هو ثاني أقطاب النظرية ما بعد الكولونيالية، ولد في عام 1949 في بومباي في الهند، درس في جامعة بومباي، سافر إلى لندن، حيث حصل على ديبلوم الأستاذية في الإنجليزية والفلسفة من جامعة أوكسفورد، بالتالي درس الإنجليزية في جامعة سوسكس منذ عام 1974، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يشتغل اليوم فيها منصب بروفيسور الأدب الإنجليزي والأمريكي في جامعة هارفارد منذ عام 2001.

تأثر هومي بهابها بأفكار إدوارد سعيد خاصة فكرة استغلال الغرب سلطة الخطاب لفرض سيطرته الثقافية والحضارية على الآخر، لكنه خالفه في قضية العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر، فإذا كان إدوارد سعيد يفصلهما فصلاً حدّيا، وقد سبقه إلى ذلك "إيميه سيزار" في كتابه "خطاب حول الكولونيالية"، حيث جعلهما عالمين مستقلين قطعت القوة العسكرية والقهر اللاإنساني أي خطوط تواصل محتملة بينهما، خلافا لهما يرى هومي بهابها إمكانية تقاطع هذين العالمين من خلال مفهوم الهجنة . [2]

ارتبط مصطلح "الهجنة" بأعمال بهابها: «الذي يؤكد تحليله لعلاقات المستعمِر/المستعمَر على اعتمادهما المتبادل بعضهما على بعض، والصياغة المتبادلة لذاتيتهما، واستخدم مصطلح الهجنة في خطابات ما بعد الكولونيالية للتغني ببساطة تبادل بين ثقافات متعددة». [3]

---

[1] إدوارد سعيد: "الاستشراق –المعرفة، السلطة، الإنشاء–"، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 29.

[2] مديحة عتيق: "ما بعد الكولونيالية: مفهومها، أعلامها، أطروحاتها"، ص 20.

[3] بيل أشكروفت وآخرون: "دراسات ما بعد الكولونيالية- المفاهيم الرئيسية -"، ص 199-200.

فحسب هومي بهابها فإن العلاقة بين المستعمَر والمستعمِر ليست تأثير وتأثر فقط، بل تجاوزت ذلك إلى تهديد بزعزعة كيان المستعمَر واستقراره السياسي والثقافي.

ومن أبرز إسهامات هومي بهابها في مجال النظرية "ما بعد الكولونيالية" فكرة "الالتباس"، وتحديد التباس السلطة، حيث يقول في ذلك: «الحضور الكولونيالي ملتبس دائما ومنقسم بين مظهره كشيء أصلي وافد وسلطوي، وبين تجسده كشيء متكرر ومختلف...وينتج إظهار هذا الاختلاف سلطة لا تتميز بالعدوانية بقدر ما تتخذ منحًى صراعيًا». [1]

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح لنا بأن "هومي بهابها" يعدّ أحد أقطاب النظرية ما بعد الكولونيالية، ومن الذين واجهوا الغرب وانتقدوا سياسته واستغلال سلطته لفرض هيمنته على الشرق.

د–غياتري سبيفاك gyatry spifac : تعتبر جياتري سبيفاك أحد أقاليم دراسات "ما بعد الاستعمار"، وتعدّ أول منظرة نسوية في مرحلة ما بعد الحداثة، وقد اشتهرت بمقالها المثير للجدل "هل يستطيع التابع أن يتكلم؟" المنشور عام 1988، حيث تناولت سبيفاك في هذا الموضوع مصطلح "التابع" الذي يعتبر مضاد لمصطلح "النخبة"، فتلمح سبيفاك إلى أن مفهوم التابع هو ببساطة وجود إستراتيجي أي نوع من الشر الضروري لتحقيق تقدّم عملي. ويمكن أن نلخص أهم المآخذ التي أخذتها سبيفاك على مفهوم التابع في النقاط التالية:

- «التابع مغمور الصوت، فهناك دائما صوت نخبوي يتحدث عنه وباسمه.
- التابع صنيعة كولونيالية أفرزتها الإمبريالية الغربية.
- هناك تركيز على مضامين الخطاب التابعي–إن وجد– وإهمال للجانب الفني.
- قلة الخطابات التابعية وشكوك حول نقائها من تدخل أصوات النخبوية».[2]

---

[1] ك. نلوولف وآخرون: موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي القرن العشرون، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، ص 341-342.

[2] مديحة عتيق: "ما بعد الكولونيالية، مفهومها، أعلامها، أطروحاتها"، ص 24.

إنّ ارتباط "سبيفاك" بمشروع نظرية "ما بعد الكولونيالية" مهم أيضا، وذلك للطرق التي تنتهجها هذه النظرية في النظر إلى صورة المرأة بوصفها الآخر ذي الصوت المقموع للكولونيالية. [1]

فجياتري سبيفاك قد اهتمت بالدفاع عن شؤون المرأة المضطهدة خاصة المرأة الهندية، كما اهتمت بالدفاع ومواجهة الهيمنة الغربية بمختلف أشكالها.

ومما سبق نستنتج أن كل من "هومي بهابها" و"جياتري سبيفاك" الأكثر تأثيرا في وضع نظريات تكوين الذات ما بعد الكولونيالية، فقد رسم الإثنان ومعهما "إدوارد سعيد" الحدود الرئيسية لهذا المجال المتعدد الجوانب الذي يشمل تحليل الخطاب والتفكيك والتحليل النفسي، وإن اتساع مدى نظرية "ما بعد الكولونيالية" هو مصدر قوتها، لكنه في الوقت ذاته جعل منها مكانا مرتبكا، حتى أن الناقد ما بعد الكولونيالي كثيرا ما يجد نفسه في مواقف يكتشف عندها أن مرافئه السياسية والنظرية غير آمنة تماما.[2]

5-3- النقد ما بعد الكولونيالي في البيئة العربية:

تعتبر الدراسات ما بعد الكولونيالية من التوجهات النقدية والمعرفية الحديثة ذات الطابع الثقافي والسياسي في الساحة النقدية العربية المعاصرة، حيث كان استقبال النقد العربي لهذه النظرية خاضع لمجموعة من التغيرات كونها تربط الخطابات بالمشاكل السياسية في العالم، حيث سنتطرق في هذا العنصر إلى كيفية استقبال النقاد العرب لدراسات ما بعد الكولونيالية، وكيفية استجابتهم وفهمهم للنظرية «ونستطيع أن نحدد دائرة الاستقبال العربي لخطاب ما بعد الكولونيالية ضمن عدد من المدارات، وقد مُثلت هذه المدارات بعدد من الدارسين العرب الذين توزّعوا على دوائر منها الترجمة والنقد الأكاديمي، والنقاد العرب المشتغلين بالشأن الثقافي، قد لاحظنا أن الدراسات التي تناولت خطاب ما بعد الكولونيالية يأتي معظمها ضمن مقالات نشرت في المجلات والدوريات العربية». [3]

---

[1] ك. نلوولف وآخرون: "موسوعة كمبردج في النقد الأدبي"، ص 345.

[2] المرجع نفسه، ص 346.

[3] رامي أبو شهاب: "الرسيس والمخاتلة"، ص 132.

وفيما يلي سنتطرق إلى بعض دراسات خطاب ما بعد الكولونيالية في المشهد النقدي العربي المعاصر:

أ- رامي أبو شهاب: يرى الناقد رامي أبو شهاب بأن الدراسات الكولونيالية حاضرة في النقد العربي والثقافة العربية منذ نشوء الاستعمار في القرن التاسع عشر، فنحن لا نعدم بعض الخطابات التي استغلت بما لدى الآخر، والتعرف عليه، عبر المقارنة والنقد، وفي كتابات محمد عبده، جمال الدين الأفغاني، وأحمد فارس الشدياق وغيره، نعثر على هذه المقاربة، بالإضافة إلى بروز الكتابات النقدية التي اتخذت من الآخر موضوعا لها في الفترة المتأخرة، ولعلّ كتاب طه حسين "مستقبل الثقافة في مصر" نموذج على هذا التوجه للبحث في الذات، ووضعها أمام المرآة التي تضطلع بمهمة الكشف عن كينونتها، لكن عبر الحضور الطاغي والمهيمن للآخر القوي، ألا هو الغرب تحديدا، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا التوجه لم يكن يمتلك حالة متقدمة من الوعي بمفاهيم خطاب ما بعد الكولونيالية، إلاّ أنه كان نموذجا لحضور الثقافة العربية والاهتمام به". [1]

وعليه يتبيّن لنا بأنّ الدراسات ما بعد الكولونيالية كانت حاضرة وموجودة منذ فترة مبكرة في المشهد النقدي العربي، حيث رافقت ظاهرة الاستعمار الحديث الذي جثم على جسد الأمة العربية، مما ولد موقفا مضادا ورافضا له من قبل النقاد العرب دووا الفكر الإصلاحي الداعي إلى رصد الآخر الأجنبي المهيمن والطاغي، ولقد تمثل هؤلاء النقاد في: محمد عبده، جمال الدين الأفغاني وأحمد فارس الشدياق...، الذين سخروا كتاباتهم التنويرية للدفاع عن الأمة العربية، وقطع أواصر علاقاتها مع الآخر المستعمر الغازي الذي جردها من مقومات هويتها الحضارية، غير أن ما ميّز هذه الدراسات هو عكوفها على دراسة الآخر الغربي، وموقعه القوي المسيطر، دون امتلاك وعي نقدي ما بعد كولونيالي هادف إلى تقويد دعائم الفكر الاستعماري، وفك الارتباط عنه، مثلما تجسّد في كتابات إدوارد سعيد وهومي بهابها، غياتري سبيفاك، عبد الله العروي وحسن الحنفي، وغيرهم من النقاد العرب المعاصرين الذين أفردوا قسطا وافيا في كتاباتهم للبحث في خطاب ما بعد الكولونيالية. [2]

---

[1] رامي أبو شهاب: "الرسيس والمخاتلة"، ص130.

[2] ينظر: نادية بوحاريش: النظرية ما بعد الكولونيالية والتلقي العربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب، تخصص: نقد ودراسات ثقافية، جامعة محمد الصديق بن يحيى-جيجل- ، كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية 2015-2016، ص 94.

يتعرض الناقد رامي أبو شهاب أيضا إلى ذكر بعض الأسباب التي وقفت حائلا دون حضور خطاب ما بعد الكولونيالية في الأوساط النقدية العربية حضورا فاعلا ومؤثرا، مما أدى إلى ضعف حرارة استقباله نوعًا ما، حيث يرى بأن الأسباب التي جعلت "المقاربة العربية تنظيرية غير قادرة على أن تكون مؤثرة وفعالة، ما يسكن العقلية العربية من لا وعي نقدي، يقوم على النظر بالآداب على أنها تشكيل جمالي لغوي إنساني، لا يفترض به أن يتراجع مقابل علوم واتجاهات فكرية، يمكن أن يقلّل من تفرده كمنتج إبداعي، ولعلّ هذا ما يفسّر احتفاء النقد العربي بالنقد الألسني، إذ وجد فيه امتدادا لفلسفة النقد العربي القديم القائم على القيم البلاغية واللغوية، في حين أن أي اتجاه نقدي آخر متداخل ومتشابك مع علوم إنسانية منها علم النفس، علم الاجتماع وعلم السياسة، وحتى الفلسفة الوجودية، لم يلقى استقبالا نوعيا".[1]

استنادًا إلى رأي الناقد "رامي أبو شهاب" يتبيّن لنا بأنّ السبب الدافع وراء ضعف التلقي والاستقبال العربي للخطاب ما بعد الكولونيالي، هو قلة الوعي النقدي العربي بهذا الفضاء المعرفي، في حين لاحظنا اهتمام واحتفاء النقد العربي بالنقد الألسني على اعتبار أنه يعدّ امتدادا له وتتمة لمشروعه، لقد كان هنالك نقص واضح وجليّ في الاهتمام بأيّ اتجاه نقدي آخر، يضمّ بين طياته مختلف العلوم الإنسانية من علم نفس، علم اجتماع وعلم السياسة...، ويتشابك ويتداخل معها، وهذا ما حدث مع خطاب ما بعد الكولونيالية الذي يعدّ خطابا هجينا يضمّ جميع الفروع المعرفية والعلوم الإنسانية على اختلافها، ولهذا جاء التلقي العربي له محتشما وفقيرا نوعا ما، إضافة إلى هذا السبب يضيف الناقد رامي أبو شهاب سببا آخر وراء هذا النقص والتعثّر العربي في مجال استقبال خطاب ما بعد الكولونيالية ألا وهو عامل الزمن، فالنقد العربي غالبا ما يحتاج إلى فترة زمنية للقدرة على الاستقبال، ومن ثم البدء في الإنتاج والتفاعل المستمر، فعامل الزمن عامل جدّ ضروري من أجل المساهمة في تطوّر النظريات وتشكلها. [2]

[1] رامي أبو شهاب: الرسيس والمخاتلة، ص 206.

[2] ينظر: نادية بوحاريش: النظرية ما بعد الكولونيالية، ص 131.

ب– سعد البازعي وميجان الرويلي: من الدراسات التي تطرقت إلى خطاب ما بعد الكولونيالية نجد دراسة سعد البازعي وميجان الرويلي في كتابهما "دليل الناقد الأدبي"، وفي إطار التعريف بهذا الخطاب يرتضي دليل الناقد الأدبي دور إضاءة خطاب ما بعد الكولونيالية، فالخطاب الكولونيالي من منظورهما يعني: «تحليل ما بلورته الثقافة الغربية في مختلف المجالات من نتاج يعبر عن توجهات استعمارية إزاء مناطق العالم الواقعة خارج نطاق الغرب على أساس أن ذلك الإنتاج يشكل في مجمله خطابا متداخلا بالمعنى الذي استعمله فوكو لمصطلح خطاب». [1]

يقصد بالخطاب الكولونيالي التطور الذي أحدثته الثقافة الغربية في مختلف المجالات، والتي تسمح للثقافة الغربية عملية الهيمنة، أما مصطلح النظرية "ما بعد الكولونيالية" أو "ما بعد الإستعمار" «فهو يشير إلى نوع آخر من التحليل ينطلق من فرضية أن الاستعمار التقليدي قد انتهى وأنّ مرحلة من الهيمنة، تسمى أحيانًا المرحلة الإمبريالية أو الكولونيالية...كما عربها بعضهم، قد حلّت وخلقت ظروفا مختلفة تستدعي تحليلا من نوع معيّن»[2]، فالنظرية "ما بعد الكولونيالية" تعني من وقع عليه الاستعمار، لذا فهناك تصوران ينطلقان من وجهات نظر متعارضة، فالخطاب الكولونيالي هو الإنشاء الذي صاغته الثقافة الغربية، أما النظرية "ما بعد الكولونيالية" هي تلك النصوص ذات الطابع الاختزالي، الذي أنتجه الغرب بغرض إقصاء الآخر الشرقي. ثم ينتقلان إلى تحديد الأطر المرجعية لخطاب ما "بعد الكولونيالية"، والإشارة إلى مؤسسه إدوارد سعيد في كتابه "الإستشراق" «يأتي إدوارد سعيد في طليعة محللي الخطاب الاستعماري، بل ويعدّه بعضهم رائد الحقل». [3]

وتحدثا كذلك عن المنهجية التي ارتضاها «إنّ دراسة سعيد للاستشراق دراسة لخطاب استعماري، خطاب تلتحم فيه القوة السياسية المهيمنة بالمعرفة والإنتاج الثقافي» [4]، كما نجدهما يذكران بعض مرجعيات ميشال فوكو وغرامشي، ومدرسة فرانكفورت.

---

[1] ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، ص 158.

[2] المرجع نفسه، ص 158.

[3] المرجع نفسه، ص 159.

[4] المرجع نفسه، ص 159.

إنّ سعد البازعي وميجان الرويلي ينطلقان من فكرة أساسية، وهي المتعلقة بالعلاقة "ما بعد الكولونيالية" و"ما بعد الحداثة" و"ما بعد البنيوية"، كالدراسات التي تهدف إلى تفكيك الخطاب الكولونيالي، كما أشارا إلى بعض نقاد "ما بعد الكولونيالية".

كما نجدهما تجاهلا بعض الأعمال الهامة، وذلك من خلال قلة المرجعيات التي اعتمدها كتاب "دليل الناقد الأدبي"، فهو يفتقر إلى بعض الأعمال التي من شأنها أن تقدم إضافات كبيرة ومهمة في خطاب "ما بعد الكولونيالية"، كأعمال "أشكروفت" من خلال كتابه الموسوم "بالإمبراطورية ترد الكتابة" الذي صدر سنة 1989، وغيرها من الأعمال لإدوارد سعيد بالرغم من المضامين الفكرية والفلسفية التي طورها من خلال أعماله "الاستشراق" و"الثقافة والامبريالية" وأعمال أخرى، إلا أنّ سعد البازعي وميجان الرويلي لم يشيرا في معرض حديثهما، ولم يتعمقان في هذه الدراسات بالرغم من مساهمتها في تأسيس وتطوير مفاهيم "ما بعد الكولونيالية".

الفصل الثاني:

تجربة النقد ما بعد الكولونيالي عند إدريس الخضراوي من خلال كتابه "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار"

الفصل الثاني: تجربة النقد ما بعد الكولونيالي عند إدريس الخضراوي من خلال كتابه "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار"

1- التعريف بإدريس الخضراوي

2- أعماله

3- التعريف بالكتاب ووصفه

4- الرواية العربية: مقاربة ما بعد كولونيالية: كتاب الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار لإدريس الخضراوي أنموذجا

4-1- قضية الأنا والآخر

4-1-1- رواية الأمير لواسيني الأعرج

4-1-2- رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي

4-1-3- تغريبة أحمد الحجري

4-2- ثنائية التاريخي والتخييلي

4-2-1- رواية الأمير لواسيني الأعرج

4-2-2- رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي

4-2-3- تغريبة أحمد الحجري

5- آليات التمثيل السردي من خلال كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" لإدريس الخضراوي

5-1- الزمن

5-1-1- الزمن في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج

5-1-2- الزمن من خلال رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي

5-1-3- الزمن في تغريبة أحمد الحجري

5-2- المكان

5-2-1- المكان في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج

5-2-2- المكان من خلال رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي

5-2-3- المكان من خلال تغريبة أحمد الحجري

5-3-الشخصيات

5-3-1- الشخصيات في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج

5-3-2- الشخصيات في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي

1- التعريف بإدريس الخضراوي:

باحث مغربي حاصل على الدكتوراه في الأدب من جامعة محمد الخامس، ويعمل أستاذا للتعليم العالي في جامعة القاضي عياض، وعضو كتاب اتحاد المغرب. [1] اشتغل في مجال النقد وخاصة نقد ما بعد الكولونيالية، حيث درس النقد وواقعه في الفترتين قبل وبعد الاستعمار، وعالج مختلف القضايا النقدية والأدبية المعاصرة، وذلك من خلال الاشتغال على أعمال مجموعة من النقاد والروائيين، اشتغل في مجال الدراسات الثقافية، ساهم وشارك في ندوات ثقافية وأدبية عديدة، وله أبحاث ودراسات منشورة في مجلات علمية محكمة.

2- أعمـاله:

- الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، سنة 2012.
- الأدب موضوعا للدراسات الثقافية، سنة 2007.
- سرديات الأمة تخييل التاريخ وثقافة الذاكرة في الرواية المغربية المعاصرة، سنة 2017.
- الكتابة النقدية عند محمد برادة: المرجعية والخطاب، سنة 2020.
- النظرية والترجمة: ميخائيل باختين والنقد الأدبي العربي المعاصر، سنة 2017.
- دور الناقد وحالة ما بعد الحداثة: قراءة في كتاب موت الناقد، سنة 2016.
- ضد الصمت والنسيان: قراءات في رواية أخاديد الأسوار للزهرة رميج، سنة 2010.

[1] المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المكتبة الإلكترونية: 29 سبتمبر 2020 على 10:34 bookstore.dohainstitute.org.

3- التعريف بالكتاب ووصفه:

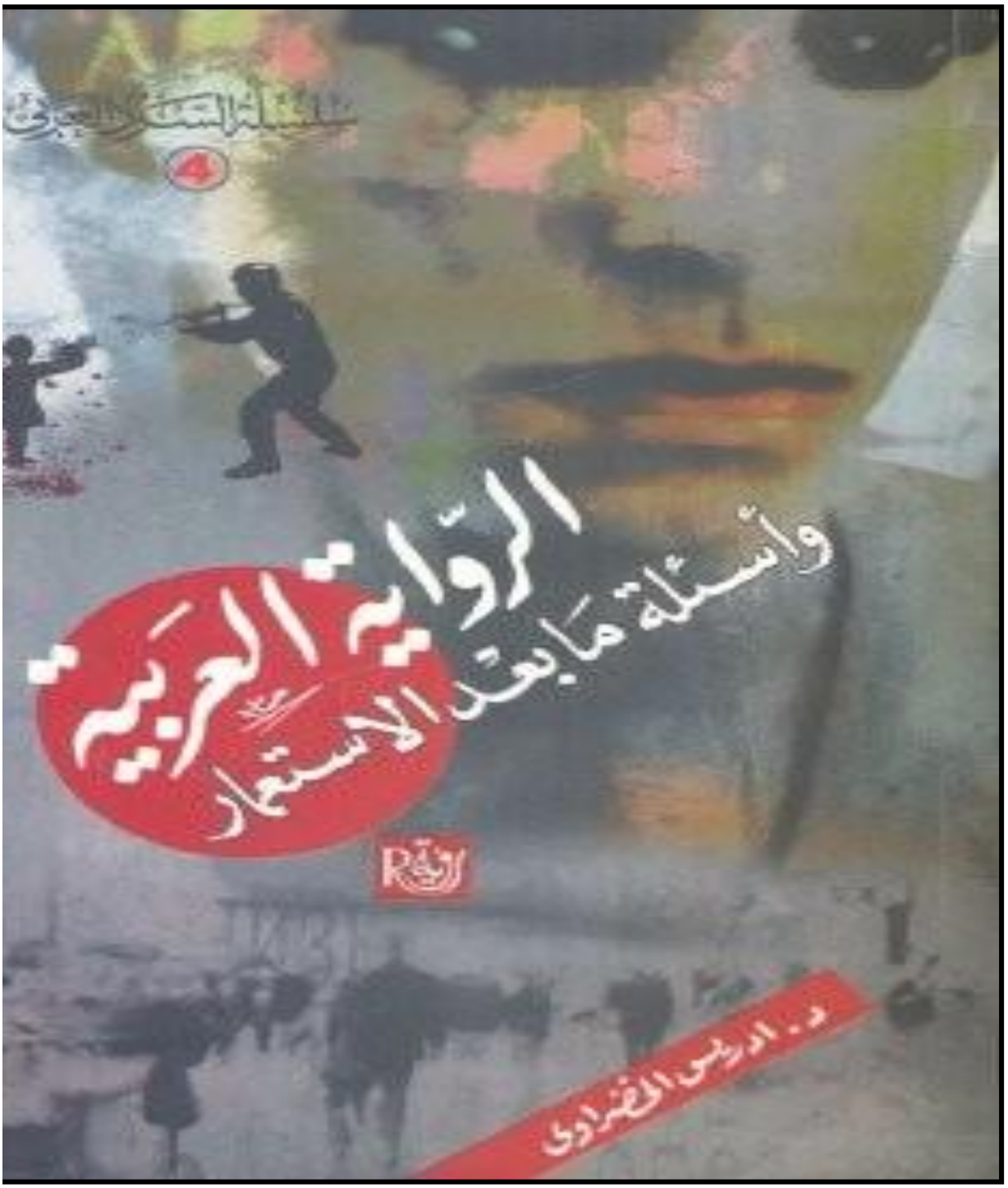

أصبح للعنوان أهمية بالغة في الأعمال الأدبية والنقدية الحديثة، فلكل كتاب عنوان يكون هو الواجهة الأولى التي تقابل القارئ، فالعنوان «مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل، وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه، وتعيّنه، وتشير لمحتواه الكلّي، ولتجذب جمهوره المستهدف». [1]

[1] عبد الحق بلعابد: عتبات، جيرار جينيت من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2008، ص 67.

وهو ما نلحظه من خلال عنوان الكتاب الذي كان محور دراستنا والموسوم بـ "الرواية العربية وأسئلة ما بعد عربية" المكتوب بخط غليظ على أن الناقد إدريس الخضراوي قد ركز في دراسته على جنس الرواية دون غيره، أي أنّه سيشتغل على الخطاب الروائي دون غيره من الخطابات الأدبية، كما أنه اشتغال غير مختص بمنطقة واحدة فقط، وإنما حاول أن يتتبع الخطاب الروائي في مناطق مختلفة من الوطن العربي (تونس، الجزائر، العراق، السعودية...).

فقد حاول جاهدًا التنويع في الخطابات، بأن يأخذ من كل بلد نموذجا يستقرىء من خلاله الطرح الذي طرحه كل كاتب، ومحاولة الوقوف عند رؤية كل كاتب للاستعمار، وطريقة عرضه لها.

أمّا العنوان الفرعي "وأسئلة ما بعد الاستعمار"، فيبيّن لنا بأن الناقد إدريس الخضراوي سيتقصى في هذه الروايات العربية، ومدى تناولها وطرحها لأسئلة ما بعد الاستعمار، أي أنّه سيحاول في كل رواية أن يتتبّع الخطابات التي تحمل البعد ما بعد الاستعماري، وكيفية تناولها لهذا الاستعمار، هل تناولته بالإيجاب؟ أم بالسّلب؟

وإذا حاولنا الإمعان والنبش أكثر في سيميائية العنوان، نجد بأن الرسومات التي تعتري الغلاف تمدّنا بعدة دلالات، تعيننا على فهم ما يدور في متن الكتاب، إذ نلحظ جنديا يفرغ رشاشه على فتاة صغيرة والدم يتطاير من حولها، وهو يستمرّ في رشقها بالرصاص دونما رحمة أو رأفة، وهو ما يعدّ قمة الهمجية الاستعمارية، وهو لربّما ما طرحته بعض الروايات التي هو بصدد دراستها، كما نجد أيضا صورة لشخص جاحظ العينين، شاحب الوجه، يتطلّع بعينيه إلى الأفق البعيد، وكأنّه ينشد الخروج من ويلات الاستعمار، وهو ما يعدّ من الأسئلة التي تتناولها الروايات العربية، أو بالأحرى الكتابات العربية ما بعد الاستعمارية.

المؤلف	إدريس الخضراوي
– تاريخ النشر	– 2012-01-01
– الناشر	– رؤية للنشر والتوزيع
– النوع	– ورقي غلاف عادي
– الحجم	– 21× 14 سم
– عدد الصفحات	– 320 صفحة
– الطبعة	– 1
– اللغة	– عربي

«يتألّف الكتاب من مقدمة تضمنت الاعتبارات الأساسية لتصوّره حول الموضوع ومداخل بناء المعرفة به، وثلاثة فصول تتكامل على المستويين النظري والتحليلي، من أجل الإنكباب على فهم قدرة الرواية على تمثيل التاريخ والهوية والآخر، قريبا أو بعيدا.

من خلال سرد مضاد يؤكد أن الأفق الخيالي هو عين الفرد والجماعة ومصدر وجودهما، تضمن الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان: السرد والتمثيل الثقافي، الاهتمام ببناء المعرفة بمفهوم التمثيل، بالاستناد إلى بعض

المرجعيات التي تتصل بتكوين المفهوم، كما أفاد منه خطاب ما بعد الكولونيالية، غير أن الناقد سعى إلى ربط مفهوم التمثيل بآليات الإنتاج والخطاب اللغوي المتلفظ كما لدى الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني، وأرسطو، لاسيما نظرية الأخير في المحاكاة التي تعكس في تكوينها جانبا بدائيا من مفهوم التمثيل إلى كونه جهازا كليّا متكاملا يرتقي إلى مستوى الممارسة، ومما يلاحظ أن الناقد قد فضّل أن يرى مفهوم التمثيل عبر آليات الإنشاء السردي، كما تجسدها تقنيات العمل الروائي، لهذا نجد أن الناقد في معظم نقده للأعمال الروائية وتتبعه لأسئلة ما بعد الاستعمار يستند إلى منصّات الإنشاء السردي في تكوين التمثيل الذي ينهض حقيقة على مساءلات ثقافية وتقاطعات تتعلق بمفاهيم الهوية والآخر، فضلا عن قضية التمثيل المكاني وإشكالية اللغة، وعلاقات الانزياح الإنساني، وبروز المنفى، وأخيرا صورة الأوطان وما طرأ عليها من تغيير نتيجة العمل الاستعماري، ويقارب إدريس الخضراوي في محور آخر عملية التمثيل الثقافي بالاستناد إلى تنظيرات الناقد الفلسطيني الأمريكي إدوارد سعيد الذي يعدّ واحدا من منظريها، ومن المساهمين في توسيع آفاقها، التي يحيلها مؤلّف الكتاب إلى ثلاث ركائز: [1]

- «الأحداث التي تنتجها الشخصيات، انطلاقا من الوظائف والأدوار المسنودة لها.
- الأزمة المتعلقة بالقصة المروية.
- الفضاء الذي تتحرك فيه المحافل السردية وتتبادل الأدوار». [2]

أمّا الفصل الثاني الذي جاء تحت عنوان "الرواية وأسئلة ما بعد الاستعمار"، الذي اشتغل فيه على دراسة النصوص الروائية المقترحة للتحليل، حيث تفرّد بتناول بلاغة الآخر الخارجي بين التوتر والتقارب من خلال "رواية الأمير" للكاتب الجزائري واسيني الأعرج، وهي تمثل الرد الكتابي على رواية "الاستعمار والإمبريالية" حول المناطق التي كانت مستعمرة، كما اشتغل على رواية "تغريبة أحمد الحجري" للكاتب التونسي عبد الواحد ابراهيم، وهي الرواية التي جسدت معاناة الموريسكيين من محاكم التفتيش خلال القرن السادس عشر، وأنهى هذا الفصل

[1] ينظر: إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012، ص 38-39.
[2] المصدر نفسه، ص 63.

بالاشتغال على رواية "الربيع والخريف" للكاتب السوري حنا مينة، وأبرز كيف تنطلق في تمثيلها للآخر من سردية مغايرة، قوامها التقارب والتعايش، والاعتماد المتبادل.

وفي الفصل الثالث والأخير الذي حمل عنوان: "مرجعيات السرد" الذي تميّز بدراسة أنماط تمثيل الرواية العربية الجديدة للتاريخ والهوية والواقع خاصة في فترة ما بعد الاستقلال، ورغم أن الرواية العربية اتجهت خلال السبعينيات الى معاودة التأمل والتفكير في مراحل الاستقلال العربي، ببناء سردي متماسك يطفح بالصور المضادة، وباللجوء إلى تكثيف النقد والسخرية من الحاضر، فإنّ النصوص الروائية الجديدة التي كتبت في العقد الأخير من القرن العشرين وبداية هذا القرن، تقدم عبر السرد تأويلا جديدا لذلك الماضي، ينهض على سردية مغايرة، وهذا ما تبيّناه من ثلاث أعمال روائية وهي: "تل اللحم" للكاتب العراقي نجم والي، "وذاكرة الجسد" للكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي، و"الآخرون" للروائي التونسي حسونة المصباحي.[1]

والخاتمة تضمّنت الخلاصات الأساسية التي استخلصها إدريس الخضراوي من خلال هذه الفصول، سواء منها الخلاصات النظرية المتعلقة ببناء الموضوع نظريا، وبما يتصل به من مرجعيات وإبدالات علمية، فضلا عن إدراجها ضمن رؤية جامعة تمكن من توسيع الفهم بالرواية، ليشمل عناصر أخرى غير لغوية وعلى رأسها عنصر الثقافة باعتبارها مكوّنا يسهم في تشييد تداولات النص، كما يؤثّر في تلقيه، أو التطبيقية التي هي محصلة اختبار الفرضية على النصوص الروائية، وإبراز ما تستضمره من ضروب التمثيل للهوية والأنا والآخر.

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 39-40.

4- الرواية العربية: مقاربة ما بعد كولونيالية: كتاب الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار لإدريس الخضراوي أنموذجا:

تعدّ الرواية – خاصة العربية – من الأعمال التي يمكن أن تقارب من وجهة نظر ما بعد الكولونيالية باعتبار الرواية جنس أدبي يزخر بالصراعات السياسية والاجتماعية والأدبية، وأيضا باعتبارها وثيقة أو خطاب لتمثيل المجتمع بكل صراعاته وأنساقه الظاهرة والكامنة.

فالرواية «وهي –كما هو معروف– الجنس الأدبي الأكثر والأقوى حضورا في مجال النظرية والدراسات ما بعد الكولونيالية» [1]، فالرواية هي النوع الأدبي المركزي في أدب ما بعد الاستعمار، ولا يكاد يزاحمها في هذه المكانة نوع أدبي آخر، وهذا أمر بديهي لأنها نوع ينهض بطبيعته على تمثيل الواقع أحسن تمثيل، ولهذا فهو الأقدر على تمثيل مجتمعات ما بعد الاستعمار وعرض تناقضاتها وأصواتها المتضاربة «فضلا عن تسجيل ما يعتمل في نفوس مثقفيها من مآس وصراعات عميقة الغور ومتشعبة الأبعاد، وكل هذا على خلفية من خبرة ذاتية لا تخلو أمرا ربما لا يتوفر مثله لنوع من درس واستقصاء للواقع بأبعاد المركبة، وهو أدبي آخر ولا حتى لأي درس علمي موضوعي أو محايد». [2]

فالرواية باعتبارها نصا يعبّر في كثير من جوانبه عن نزوع إلى مقاومة القوة التقييدية للأدب وتخصيص الكتابة للتعبير عن مختلف أشكال الصراع الاجتماعي والسياسي والثقافي، وعن العلاقة بين احتكارات السلطة والمقاومة. «حيث أن كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" يسعى إلى الاقتراب من قضايا ثقافية عديدة تتصل بالتاريخ والهوية وثنائية الأنا والآخر في سياق ما بعد الكولونيالية، وقراءة الكيفية التي تناولت بها النصوص الروائية المعاصرة هذه القضايا وقامت بتمثيلها وإنتاج صور بصددها، والوقوف على أبعادها ودلالاتها الثقافية». [3]

---

[1] بوحاريش نادية: النظرية ما بعد الكولونيالية أرضية الفكر المتنور، ص 72.

[2] عبد المنعم عجب الفيا: رواية موسم الهجرة إلى الشمال والنقد ما بعد الكولونيالي، الاثنين 15 حزيران/ يونيو 2009، 15 سبتمبر 2020 على الساعة: 14:00 سودانايل: https://www.sudanile.com/index.

[3] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 38.

يصرّح الناقد المغربي إدريس الخضراوي في مستهل كتابه عن الاعتبارات الأساسية التي دفعته لوضع دراسته فنلتمس إشارات إلى هيمنة المقاربات السردية ببعدها اللساني على نقد الرواية العربية لعقود من الزمن وصولا إلى بداية الألفية الثالثة التي شهدت بروز نهج جديد يتمثل في المتعلقة السردية التفاعلية، كما قدّمها الناقد المغربي سعيد يقطين، غير أنّ الخضراوي يرغب في مقاربة التفارق السّائد، وتتمثل بمقاربة تتكئ على منظور الخطاب الاستعماري الذي يدرجه الناقد في حقل الدراسات الثقافية باعتباره توجّها لإعادة قراءة الرؤية العربية، ولكن برؤية متحررة من إكراهات النظرية الغربية، حيث تناول إدريس الخضراوي في هذا الكتاب مجموعة من الثنائيات الأدبية من خلال الأعمال الروائية لبعض النقاد العرب المغاربة التي تتحدث عن فترة الاستعمار وما بعده "ما بعد الكولونيالية". فقد استند إدريس الخضراوي إلى مقاربة انحازت إلى أسماء وأعمال بعينها، فنجد "رواية الأمير" لواسيني الأعرج، وتغريبة أحمد الحجري، ورواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي.

4-1- قضية الأنا والآخر:

تعدّ إشكالية الأنا والآخر أهم المسائل والقضايا التي تناولتها الرواية العربية عامة والجزائرية خاصة، فكانت هذه الثنائية واضحة وبارزة في أعمال الكثير من الروائيين، فهناك من بيّن لنا بشاعة وهمجية ودناءة وغدر الآخر "الغربي"، لأن الأنا الغربية عانت القهر والقمع والاضطهاد، الذي مورس عليها من طرفه، فجسدت لنا هذه الروايات الصراع والصدام القائم بين الشرق والغرب منذ الأزل، فنظرت إليه بنظرة سلبية وانغلقت على ذاتها، ورفضت كل ما هو أجنبي بحكم أنه عدو لدود، وسببا في تخلفها وانحطاطها، وتشتتها وتمزقها.

كما ذهب روائيون عكس هذا الاتجاه في متونهم الروائية، حيث جسدوا وصوروا الآخر الغربي على أنه ملاك روحاني معصوم من الخطأ، فانفتحوا على كل ما جاء ونادى به رغبة منه في الاستفادة من خبرته، وعلومه، وحضارته، لبناء دولة قوية تواكب العصر المتقدم، حتى وإن كان على حساب بعض المبادئ، والأسس والثوابت، فهي روايات الاندهاش والانبهار، والإعجاب بالآخر الغربي وبما وصل إليه، وبما حقّقه من تقدّم ورقيّ وازدهار، فنظرت إليه بنظرة إيجابية وإلى نفسها بنظرة سلبية، أي احتقار وتدني، فمجدت حضارته وثقافته.

4-1-1- رواية الأمير لواسيني الأعرج:

لقد أخذت قضية الأنا والآخر حيزا في دراسة الناقد المغربي إدريس الخضراوي لكتاب "رواية الأمير" لواسيني الأعرج، حيث يرى بأن الإنسان الجزائري يحضر فيها بملامحه وقيمه وانتماءه العميق للأرض، في بعديها المادي والروحي «لقد مكّننا هذا الوعي من تمثيل الصراع بين الذات والآخر، ومن استيعاب مجال الآخرية بطريقة مغايرة يتداخل فيها الواقعي والتخييلي». [1]

حيث ربطها بقضية المواجهة بين القيم التقليدية والقيم الحديثة، خاصّة عندما تقضي شخصية من الشخوص الروائية المعنية بهذا الموضوع، ردحًا معينا من حياتها في الغرب لتلقي العلم، ثم تعود إلى مجالها الجغرافي فتواجه اختلافات لابد من مواجهتها ومن ثم تتعامل معها بصيغ مختلفة. [2]

حيث نجد أنّ واسيني الأعرج صوّر لنا انفتاح وانبهار الأنا الجزائرية على الآخر الفرنسي، فهي رواية تعبّر عن التسامح والتعايش والحوار الحضاري بين الأنا والآخر، فواسيني تجاوز هذه الثنائية، فبدل معاداته لابد من الاستفادة من خبرته، وعلومه، وحضارته كما فعل المسلمون القدماء لما انفتحوا على الحضارات المجاورة (فرس، وروم، ويونان...).

ومن أبرز الروايات التي تظهر فيها ثنائية الأنا والآخر بشكل جليّ وبارز "مولود فرعون" و"رواية ابن الفقير" التي صدرت سنة 1950، ورواية "الأرض والدم" التي صدرت سنة 1953، وأيضا رواية "نجمة" لكاتب ياسين، ورواية "اللاز" للطاهر وطار.

فكل هذه الروايات تجسّد أو تصوّر لنا معاناة الأنا الجزائرية إبّان الاستعمار الفرنسي "الآخر"، والصّراع القائم بينهما، وهذا الأخير (الصّراع) يتجلّى لنا عندما تحسّ أو تشعر الأنا بالإقصاء والتهميش، وممارسة إكراهات معيّنة على الأنا أو الذات المستقلة، ليتحوّل من صراع ثقافي، حضاري، ديني، فكري، في بعض الأحيان إلى صراع دموي يهدف إلى محو الآخر من الوجود الإنساني.

---

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 107.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 108.

وإذا كانت كل هذه الروايات تنظر إلى الآخر بنظرة سلبية هذا «لا يعني الاتكاء المستمر على هذه السلبيات والنظر إليها بوصفها حقيقة قارة، فثمة رؤى تحمل في ثناياها طابع الإيجابية وتخلق من الآخر عالما ملائكيا يستحق التفاعل والاندماج» [1]، وهذا ما ورد في رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج، حيث نظر الروائي بنظرة إيجابية إلى الآخر (الفرنسي).

4-1-2- رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي:

تطرح رواية "ذاكرة الجسد" إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر، أو بين الشرق والغرب بالمفهوم المتداول، وهي إشكالية لم تكف الرواية العربية عن طرحها منذ "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس، و"عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، و"موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح.

وفي مجمل هذه الروايات تبدو العلاقة مع الغرب علاقة إشكالية يتجاذبها الحب والكراهية، الإعجاب والنفور، الانبهار والحذر، لكن اللافت في الأمر أن موضوعة الجنس تشكّل دائما مصدر التفوّق والسطوة في مواجهة الآخر، فما يوحّد هذه الروايات هو إثبات فحولة الشرق أمام أنوثة الغرب.

من خلال كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" نجد أن الناقد المغربي إدريس الخضراوي قد تطرّق لموضوع الأنا والآخر من خلال الحديث عن مدينة قسنطينة التي تمثل "الأنا"، والمستعمِر الذي يمثّل "الآخر" «عندما عاد خالد إلى قسنطينة كان يتساءل في داخله عما إذا كانت المدينة ما تزال كما كانت في السابق، وعمّا إذا كان الوطن ما يزال هو الآخر في صورة الأم التي أحبّها بقوة، وودّ لو أنها لم تمت قهرا بسبب سطوة أب لم يكن ليصغي لجرحها وهو المسكون بالبحث عن متعته الخاصة». [2]

فهنا يتحدث إدريس الخضراوي عن عودة خالد من الغرب إلى مدينته قسنطينة التي تمثل الأنا، كما تحدث عن "الآخر" من خلال قوله: «تُحْدِث أحلام مستغانمي تقابلا واضحا بين قسنطينة المدينة التي تنكرت لشهدائها

---

[1] محمد صابر عبيد: جمالية التشكيل الروائي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012، ص 83.

[2] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 240.

ومجاهديها ولتاريخ مقاومتها ضد الاحتلال الذي صادر أحلامها في أن تبقى مدينة حرة أبية»، [1]وهنا أشار الناقد إدريس الخضراوي إلى عنصر "الآخر" من خلال كلمة "الاحتلال".

4-1-3- تعريبة أحمد الحجري:

تتجلّى ثنائية الأنا والآخر في كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" من خلال الصورة التي نقلها إلينا السفير أحمد بن قاسم الحجري عن الآخر الأوروبي خلال رحلته إلى كل من إسبانيا وفرنسا وهولندا، من أجل استرجاع ما ضاع من الطائفة المورسكية إثر طردها من الأندلس، فقد استطاع الحجري أن ينقل إلينا صورة عن مجتمع الآخر انطلاقا من مرجعيته الثقافية ومعرفته السابقة له، وعمل في ذلك على إبراز جوانب ضعف هذا الأخير وإبراز معالم تفوّق الأنا والاعتزاز بهويتها، وتعتبر هذه الرحلة أيضا تعبيرًا عن لحظة كان فيها الإنسان العربي ما يزال معتزًا بذاته وينتقص من قيمة الآخر باعتباره مسيحي كافر.

وقد تجلّت "ثنائية الأنا والآخر" في كتاب الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار من خلال قوله: «وبالاستناد إلى ذلك يبدو الروائي وكأنه يذكر الغرب بجذور الصراع والتوتر، وبتاريخ الجماعات النصرانية المهيمنة في التحرك ضد المسلمين، بدافع احتكار فضيلة الإيمان والشرف والعقل، وكأن كل ما له علاقة بالعرب والمسلمين، ولا يمتلك هذا الامتياز ولا يحق له استملاكه». [2] حيث تجلّت ثنائية الأنا والآخر من خلال لفظتي الغرب الذي يمثل "الآخر"، ولفظة العرب الذي يمثل "الأنا".

4-2- ثنائية التاريخي والتخييلي:

إنّ العلاقة بين التاريخ والتخييل هي علاقة متجددة، ومع تجددها تتنامى الأسئلة على الدوام، نقصد الخط الفاصل أو الحدّ الذي يفصل تخصصًا غايته المعرفة بالوقائع التاريخية وأعمال تخيلية تحبك تلك المعرفة، لكن وفق منطق خيالي.

---

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 239.

[2] المصدر نفسه، ص 151.

كما يعرف التخييل التاريخي «بالمادة التاريخية المتشكلة بواسطة السرد، وقد انقطعت عن وظيفتيها التوثيقية والوصفية، وأصبحت تؤدي وظيفة جمالية ورمزية، فالتخييل التاريخي لا يحيل على حقائق الماضي ولا يقرّرها ولا يروج لها، وإنما يستوحيها بوصفها ركائز مفسرة لأحداثه، وهو نتاج تفاعل بين التاريخ ووثائقه وبين الخيال الروائي الأدبي». [1]

لا يتأسس النص الروائي في حتمية منطقه السردي، من منظور التصادم التراجيدي بين الواقع والتخييل فقط، كما أنه لا يتأسس من منظور المفارقة الإبداعية التي تعيد إنتاج تشظيات الحداثة التاريخية إنتاجا متأدبا، إنّ النص الروائي إعادة كتابة للتاريخ من وجهة نظر المؤلف. ولذلك فإنه ليس إعادة قراءة لهذا التاريخ من وجهة نظر المؤلف فحسب، إنما هو إعادة تشكيل للحداثة التاريخية وفق ما يقتضيه الوضع الهش الذي يتمتع به المؤلف الذي يحاول أن يحصر التاريخ في المسافة الفاصلة بين هشاشة وضعه وهو يعايش الحداثة التاريخية أو يستعيدها، وبين هشاشة وضعه وهو يعيد صياغة هذه الحداثة محاولا حصرها فيما يملك من أداة هي الوحيدة الكفيلة بتحقيق حلم بقاءه في التاريخ، وهي اللغة. [2]

4-2-1- رواية الأمير لواسيني الأعرج:

إنّ الدارس لرواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج يجد نفسه بين وقائع وأحداث تاريخية وهذا ما أكدنا عليه منذ بداية دراستنا لأنّ الرواية في معظمها تستند على مرجعية تاريخية لعب فيها الفضاء المتخيّل دورًا رئيسيا فجعلها عملاً فنّيًا بامتياز، لأنّ واسيني الأعرج حاول أن يستنطق التاريخ الجزائري في ظلّ الفترة الاستعمارية، كما أنّه دعّم بناء روايته بالأحداث والوقائع التاريخية، حيث كان التوثيق والدقة عنصران أساسيان خاصة في ترتيبه للأشهر والأيام والفصول والسنوات، وهكذا تمكن من عرض أحداث روايته وهو مسترسل في سرد أحداثها، وهذا ما غلب على جميع أبواب الرواية.

---

[1] إبراهيم عبد الله: التخيل التاريخي: السرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د ط، 2011، ص 9.

[2] عبد القادر رابحي: إيديولوجية الرواية والكسر التاريخي، منشورات الوطن اليوم، العلمة، سطيف، د ط، 2016، ص 15-16.

وهذا ما تطرق إليه الناقد المغربي إدريس الخضراوي في كتابه، حيث يقول: «تقدم الرواية قراءة للواقع الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي، لكنها ليست مهمومة كلّيا بالواقع، أو نزّاعة إلى التعامل معه من موقع المطابقة أو المماثلة رغم أن أصداءه تتردد بقوة من خلال علامات ومحافل وإحالات، هي بمثابة رسالة معينة رغم ما يقدم عليه الروائي من إشهار للكتابة بما تختزنه من إمكانات معرفية وتخييلية وجمالية». [1]

أي أنّ الرواية هي تجسيد للواقع الذي كان يعيشه الشعب الجزائري في فترة الاستعمار من قمع وتعذيب، إلاّ أنها ليست تعبيرا كليا عن الواقع أو مطابقة للأحداث التي وقعت في فترة الاستعمار، حيث يجد الروائي مرتكزه في دفع هذه العلامات التاريخية إلى التحدث بصيغ أخرى عن الواقع الجزائري.

وهذا عن طريق كتابتها بوعي مغاير ومنفتح، فإدريس الخضراوي يشير لنا بأنّ واسيني الأعرج اعتمد كثيرا على التخييلي في سرد أحداث روايته من خلال الاشتغال على الذاكرة التي تحاكي لنا واقع الاستعمار بكل سلبياته وإيجابياته.

«من الضروري أن ترتبط الرواية بالتاريخ وتؤثث به بناءها، كما يستلهم فضاء المتخيّل أسراره منه وفق مستويات متدرجة من الذات الحالم إلى الإيديولوجي، إلى التاريخي الملتبس إلى اليومي الحارق عبر مراحل كان فيها المتخيّل لفترة مقتلصا ومفكّكا، ليعرف في مرحلة تالية تملكه للغة روائية وهوية تعبّر عن تواصله مع الذات والتاريخ والمجتمع برؤية جمالية قادرة على استثمار كل الأشكال التعبيرية والأدبية والفنية، والسّفر عبر أنواع التراث والأسطورة، وهكذا يستمرّ المتخيّل الروائي في ارتباطه بالمتغيرات الاجتماعية والمحلية، متخذا من التاريخ أو الفضاء المتخيّل مرجعية له». [2]

وهذا ما أشار إليه إدريس الخضراوي حينما ربط الرواية بالتاريخ من خلال قوله: «إذا كانت الرواية تستعيد تاريخ أمة رأت في الأمير عبد القادر بطلا مخلصا، فإنها في استعادتها لذلك التاريخ لا تعطفه على ماضي ترى

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 110.

[2] رابطة أهل القلم: الهوية والتخيل في الرواية الجزائرية، منشورات مديرية دار الثقافة، سطيف، ص 26.

فيه انتصارات أصيلة وإنما تشرطه بسياقات الحاضر، تلك السياقات التي لم يكن البطل "الأمير" نفسه يتجاوزها رغم مرجعيته الصوفية والدينية وسلطته التمثيلية». [1]

هنا يؤكّد لنا إدريس الخضراوي ضرورة ربط الرواية بالتاريخ من خلال سرد الأحداث والوقائع ونسجها على صورة قصة، كما يستلهم المتخيل من التاريخ أسراره، وهذا عن طريق الذات المتخيلة التي تعتمد على الذاكرة في سرد الأحداث.

لقد تمكن واسيني الأعرج من استدعاء التاريخ وإعادة صياغته بما يتلاءم مع القارئ العربي والجزائري خصوصا، وذلك بواسطة تطويع النص وإخضاعه لتقنيات السرد الحديثة، والتي أسهمت في استنطاق التاريخ والكشف عن المضمر وعن المسكوت عنه، ثم الوصول إلى الحقيقة التاريخية التي اتكأ فيها الكاتب على جملة من العناصر التي ساعدته على استنطاق التاريخ وسبر أغواره وتقديمها للقارئ، ثم الكشف عن تلك العلاقة القائمة بين المتخيّل الروائي والمرجعية التاريخية.

وهذا ما أشار إليه إدريس الخضراوي في كتابه: «والتاريخ الذي تستعيده الرواية يصعب التأكد منه، ليس لأن الرواية شكل تعبيري يستند إلى الخيال في سرد الوقائع ونسجها على صورة قصة، وإنما لأن هذا الماضي لم يعد موجودا، ها هنا تلتقي الرواية مع التاريخ، فهي لا يمكن أن تتعامل مع الماضي إلا بطريقة غير مباشرة، الأمر الذي يفرض الاعتماد على التخييل في إعادة تركيب عناصر ذلك الماضي وإعطاءها شكلاً سرديا دالا ومعبرًا عن تجربة إنسانية». [2]

فالرواية التاريخية يصعب تأكيد أحداثها ووقائعها لأنها جزء من الماضي، وقد تحدث تغييرات وتحريفات لهذه الوقائع، لذلك يضطر الرواة إلى إضافة لمستهم التخييلية، وذلك لإعطاء واقعية أكثر للأحداث، وهذا ما قام به واسيني الأعرج في روايته.

---

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 115.

[2] المصدر نفسه، ص 114.

4-2-2- رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي:

«عندما تكون الكتابة قلقا وهواجسا وموقفا من الحياة، فهي رفض دائم لواقع ما ورؤية له بصورة تختلف عن غيرها، ولأنّ لها شروطها الموضوعة والاجتماعية، فليست هناك كتابة خارج حركة المجتمع، ولابد أن تنشأ داخل هذا المجتمع صناعة الكتابة، وأن تكون الكتابة جزءا من الواقع». [1]

ارتبطت رواية "ذاكرة الجسد" بالتاريخ، حيث وجدت في مادته مجالا خصبا لتشييد التخييل، وتأسيس دلالات جديدة، خصوصا ما يتصل بالتاريخ العربي الحديث في بعده الكولونيالي. وقد جاءت الرواية مرتكزة على الحداثة التاريخية التي تفضح الواقع المعيش عن طريق ارتدادات تفسر بها هذا الواقع، وتنتقده انطلاقا من انتقاد التاريخ، حيث أصبح ملاذ الذات التي تشعر بالاغتراب أثناء فعل الكتابة، تعود إلى الماضي وتنهل منه ما أمكنها مزجه في عملية التخييل وتشخيص الحاضر، وإبراز الأسئلة والآفاق المشتركة بين الماضي (التاريخ) والحاضر.

«يظهر التاريخ جليا في هذه الرواية ويتأرجح بين الذاكرة التي تعود إلى التاريخ الوطني الذي يقرأ له الحاضر، وبين الجسد الوطن الذي تتصدع فيه الثوابت، ويغيب فيه الحاضر والمستقبل. فالتاريخ في هذا العمل الروائي يسترجع على لسان السارد من حياة شخصية عاشت الثورة وتشبّعت من ماء الحياة الذي وهبه هذا الوطن، وفي الحب الخالد تجاهه رغم الأزمات والنكبات والمحن، فخالد شخصية رئيسية يرمز إلى الذاكرة الجماعية ذاكرة زمن حرب التحرير، ذاكرة مدينة قسنطينة، وذاكرة الجزائر». [2]

ونلتمس من خلال كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" لإدريس الخضراوي ثنائية التاريخي والتخييلي من خلال قوله: «وهذا الرد المتماشي مع طبيعة المرحلة الجديدة المأهولة برموز الفساد التي تمثل نقيضا للقيم التي يتحلى بها البطل المركزي في الرواية هو ذاته الذي أعلنته المدينة يوم ترك خالد لنفسه حرية إعادة

---

[1] مشري بن خليفة: سلطة النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000، ص 146.

[2] رشيدة بن مسعود: الجسد وشبيهه سيرة الواقعي والمتخيل في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، إتحاد كتاب المغرب، د ط، المغرب، 2006، ص 91.

اكتشافها في المرة الأولى التي زارها من أجل أن يحضر حفلة زفاف تلك المرأة التي أحبّها، وأحبّ ما تمثله من ذاكرة مشتركة، لكنّها آثرت أن تنائي بنفسها بعيدا عنه لتتركه ضحية لذاكرته الفردية والجماعية، القصيرة والطويلة، والتي يحملها معه بشكل يعيق جسده الفردي ويتحكّم فيه». [1]

وهنا يشير إدريس الخضراوي إلى التاريخ والذاكرة، حيث يسرد لنا عودة خالد إلى الديار وتذكر الأحداث التي مرّت عليه في التاريخ الذي سبق هجرته إلى فرنسا، حيث عادت به الذاكرة إلى الأيام التي كان يمضيها مع صديقته التي كان يحبّها وحضوره لحفلة زفافها، وهنا نلاحظ وجود عنصري التاريخ والتخييل من خلال الذاكرة.

إنّ المتأمّل لما ورد في هذه الرواية لا يلمس هذا المكان بوجوده الموضوعي أو الفيزيائي، وإنّما يلمس ذلك المكان الذي يحمله الخيال عن طريق الذاكرة وتداعياتها، ولذا يرتبط هذا المكان بالخيال، وتحكمه اللغة على نحو يتجاوز الواقع، أو يظلّ واقعًا محتملا، لأنه ممزوج بالخيال وأحلام اليقظة، وتصبح هذه الظاهرة سارية المفعول مع الإنسان الذي يعيش في المنفى مثل "خالد بن طوبال" في هذه الرواية، فالوجود في المنفى يعني الانقطاع الفعلي عن الوطني، كما يعني في الوقت نفسه تمدّدا داخليا لهذا الوجود ذاته، وحين يصبح وجود الوطن داخليا تنشط حركة الخيال وتظهر مستويات متعددة للحلم والذاكرة، فيفترق المكان الواحد في أمكنة عدّة.

«إنّ حقائق الخيال تتصل برموز ذات أصل قديم». [2] لذا تعتمد الرواية على عنصرين أساسيين هما: الماضي والحاضر وقت السرد، فتبدأ في لحظة من لحظات خالد بن طوبال حين فتح باب الذاكرة، ثم تعود الرواية إلى الوراء، ربما لسنوات طويلة لإعطاء القارئ الخلفية التي صنعتها والعالم الذي تدور فيه أحداث الرواية لذا نلمس أنّ المكان المتخيّل الذي يعيه خالد بن طوبال لم يقدّم دفعة واحدة، وإنّما تمّ بناءه عبر مراحل ومحطات تمثل في النهاية صورة كاملة لقسنطينة، لأنّ هذا المكان منسوج في ذاكرته الشخصية ومخزن فيها، تستدعيه اللحظة

[1] إدريس الخضراوي: الرواية الجزائرية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 239-240.

[2] غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص 119.

على غير نظام أو ترتيب، ولذا لا تكتمل صورة المكان القسنطيني سوى في نهاية القراءة ويعاد ترتيبها في مخيلة القارئ، لتكتمل تلك الأجزاء المتناثرة هنا وهناك مكونة الإطار العام لهذه المدينة.

بعد غربة دامت عشرة سنوات في المنفى، وبعد توغّل المكان القسنطيني في مخيلة خالد، يعود خالد إلى قسنطينة ومعه تساؤلات حول إذا ما كانت هذه المدينة لا تزال كما كانت في السابق، وهنا يشير إدريس الخضراوي إلى التغيير والاختلاف الذي وجده خالد بعد عودته، فيقول: «وهل ما يزال في المدينة نبض من الرجال الذين أنجبتهم، وزجّت بهم في حرب كان شرفها هو الدفاع عن الشرف المغتصب...غير أن الوطن عاد، بينما بقوا هم تحت التراب، والقليل منهم من بقي شاهدا على ما حصل». [1]

فخالد لم يجد سوى ألفة المكان الذي عاش فيه، فقسنطينة التي تركها قبل عشرة سنوات لم تبقى كما تركها وكما اختزلها في مخيلته، فقدت رجالها الذين ضحوا من أجلها وبقى هو فيها كاليتيم الذي فقد أمه.

4-2-3- تغريبة أحمد الحجري:

إنّ من أهم ما يميّز هذه الرواية هو قدرتها على تحويل التاريخ وتحيينه خدمة لقضايا العصر والإنسانية، إضافة إلى أنّ قارئ هذا العمل يكتشف أن الحجري الكاتب الأصلي وعبد الواحد إبراهيم الروائي، استخرجا وكشفا عن واقع نصّت عليه أمهات كتب التاريخ، إلا أن الرواية تعتمد فعل التخييل، إنّ انطلاق الرواية من مخطوط تاريخي وثّق علاقة الرواية بالتاريخ، وهذا ما أكّده إدريس الخضراوي في كتابه حيث يقول: «وبوسعنا أن نستخلص من تلك التمثيلات المختلفة التي تضطلع بها هذه النصوص أنّ الرواية العربية في مستهل هذا القرن تكتب التاريخ من منظور أكثر رحابة، بحيث يتخطى الهوية المغلقة والدولة الواحدة، ويتطلع إلى تاريخ يتشكل على إيقاع تفاعلات واحتكاكات عالمية متعددة في القيم والثقافات والأفكار والمعتقدات، وهذا الوعي الكتابي يفتح المجال أمام رؤى جديدة، وسرديات مستبعدة، تكرّس الرواية بوصفها تعبيرا عن تحولات مجتمعية تتفاعل فيها أطروحات متعددة، بحيث لا يمكن إدراك طبيعتها على الوجه الأفضل، إلا بوضعها في سياق الخطابات المختلفة والمتداولة». [2]

---

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 240.

[2] المصدر نفسه، ص 149.

يربط إدريس الخضراوي الرواية بالتاريخ ويؤكّد تفتحها على مجموعة من الهويات والدول، وهذا من أجل تعدد الثقافات والأفكار والمعتقدات، أي أنّ الرواية العربية المعاصرة تحاكي التاريخ من منظور شامل خدمة لقضايا العصر والإنسانية، عكس الروايات القديمة التي كانت منغلقة الهوية وتهتم بدولة واحدة، كما يشير إلى أنّ الرواية لا يمكن إدراكها ومعرفة محتوياتها ومقصديتها إلا عند محاكاتها لقضايا العصر ووضعها في سياق خطابات متداولة في شتى الدول والثقافات.

5- آليات التمثيل السردي من خلال كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" لإدريس الخضراوي:

نحاول في هذا الدراسة البحث في العلاقة بين التاريخ والرواية العربية المعاصرة، ودور التاريخ الجمالي في إعادة تكوين الراهن عبر توسّط السرد، وتحبيكه للتاريخين، تاريخ الماضي وتاريخ الحاضر، إذا افترضنا أن كل سرد إنما هو سرد على الماضي أو حوله والتساؤل هنا عن جماليات الرواية العربية الجديدة، وقدرتها على ممارسة التأريخ حين تعتمد على الوقائع والأحداث الماضية والحاضرة، وتكتبها اعتمادا على آليات وتقنيات السرد.

إنّ للسرد مجموعة من التقنيات التي يلجأ إليها المؤلف ويعتمد عليها في نسج خيوط روايته، هذه الآليات تعتبر وسيلة في تذوّق النص السردي واستيعابه، ومن بين هذه التقنيات (الزمن، المكان، الشخصيات).

5-1- الزمن:

للزمن في الرواية أهمية فنية باعتباره عنصرا أساسيا في تشكيل البنية الروائية وتجسيد رؤيتها، وهو يؤثّر في العناصر الأخرى وينعكس عليها. [1]

أي كل ما يحدث في الرواية من داخلها وفي خارجها، يتم عبر الزمن، ومن خلاله، فالزمن يعدّ المحور الأساسي المميز للنصوص الحكائية، بشكل عام، فهو صورة قبلية تربط المقاطع الحكائية فيما بينها في نسيج زمني.

[1] مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص 42.

كما أنّ الزمن الروائي يتوفّر على استعمالات حكائية للزمن تكون في خدمة السرد الروائي وتخضع للشروط الخطابية والجمالية. [1]

الزمن الروائي هو صيرورة الأحداث الروائية المتتابعة وفق منظومة لغوية معنوية، بغية التعبير عن الواقع الحياتي المعيشي وفق الزمن الواقعي أو السيكولوجي أو الفلسفي. [2]

5-1-1- الزمن في رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج:

إنّ المتتبع لرواية الأمير يدرك أنّ الارتداد إلى الماضي قد طغى على كثير من وقفات الرواية إلا أنّ الملفت للانتباه هو ظهور الحاضر بشكل بارز، الذي غالبًا ما يكون يومًا واحدًا يبدأ من طلوع الفجر وينتهي عند إشراقات القمر الأولى، وقد لجأ الكاتب إلى الحاضر واستخدمه كوسيلة للانفلات من الحدث والدخول في لحظات ووقفات جديدة، وهذا ما أحدث تخلخلا بين الفترات الزمنية، وبمعنى آخر همزة وصل بين الماضي البعيد والحاضر المستشرق القريب.

نلاحظ أنّ واسيني الأعرج يعتمد كثيرا على عنصر الاسترجاع في روايته للأحداث، حيث يعود بنا إلى تاريخ فترة الاستعمار وإلى الأحداث التي مرت عليه في الماضي، وهذا ما يشير إليه إدريس الخضراوي في كتابه، حيث يقول: «إنّ رواية الأمير تكتب الماضي دون أن تغلب على نفسها ضمن أسواره، لكنها وهي تستدعي أوجاع الماضي القريب وتشخّص هواجس ومخاوف الإنسان فيه، يتطلّع إلى زمن ممكن أن يهزم لغة الموت وينتصر للحياة، وكأنّ واسيني الأعرج يرى في الرواية الشكل الأمثل لمطاردة زمن التلاغمات القصوى، ونقضا لزمن قد أثقلته الأنانية العمياء بات لا ينجب سوى الموت والتناحر والصدام واللغات الآمرة». [3]

حيث يؤكّد لنا إدريس الخضراوي بأنّ رواية الأمير عبارة عن أحداث تاريخية في الزمن الماضي تعبّر عن كل ما أصاب الإنسان في فترة الاستعمار من مخاوف وهواجس، كما نرى أن إدريس الخضراوي قد زاوج بالحديث

---

[1] مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، ص 40.

[2] مراد عبد الرحمان مبروك: بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، د ط، 1997، ص 10.

[3] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 143-144.

عن الماضي والحاضر، وذلك من خلال حديثه عن الاستعمار وتجلياته، وأيضا يبين لنا تلك التجلّيات في الوقت الحاضر، وهذا من أجل محاولة إدخال القارئ في جو الرواية، ومحاولة عيش أحداثها وتصوّر حيثياتها بكل تفاصيلها.

وبالرّجوع إلى رواية "الأمير" لواسيني الأعرج نلاحظ أنها عبارة عن رسم وانعكاس لواقع الجزائر إبّان فترة الاحتلال الفرنسي، حيث اعتمد في وصفه لهذا الواقع المأساوي ولجرائم المستعمر الفرنسي وأفعاله الشنيعة في حقّ الشعب الجزائري على أفعال ماضية دالة على الزمن الماضي، لكن هذا لا ينفي أنّ واسيني الأعرج وظّف أفعالا مضارعة، هذه الأخيرة تدلّ على الزمن الحاضر، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على براعة الروائي، ومدى تمكّنه من لغته وقواعدها، وحول رواية "الأمير" علّق إدريس الخضراوي بقوله: «تقدم الرواية قراءة للواقع الجزائري خلال فترة الاحتلال الفرنسي، لكنها ليست مهمومة كليا بالواقع». [1]

فمن خلال هذا القول يُفهم أنّ واسيني الأعرج مثّل الواقع الجزائري في روايته أحسن تمثيل.

أما إذا أخذنا قول إدريس الخضراوي: «إنّ اعتماد الرواية على الخبر التاريخي، وتوخيها الدقة والموضوعية فيما تقدمه من وقائع ترتبط بمقاومة الاحتلال الفرنسي بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري، يظلّ مقترنا بالسياق الثقافي والسياسي والاجتماعي والنفسي». [2]

نفهم من خلال هذا القول أنّ رواية الأمير لواسيني الأعرج تصنف ضمن الروايات التاريخية التي ترتبط بالسياقات الثقافية والاجتماعية والسياسية لأي فئة اجتماعية في حقبة زمنية معينة، أما تفسير استخدام واسيني الأعرج لزمن المضارع الذي يدلّ على الحاضر هو محاولة المزج بين زمن الرواية وزمن القراءة.

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 110.

[2] المصدر نفسه، ص 112-113.

5-1-2- الزمن من خلال رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي:

ارتبط الزمن عند أحلام مستغانمي في رواية "ذاكرة الجسد" بكل صغيرة وكبيرة جرت أثناء فترة الاستعمار وبعده، بدءا من لحظة انطلاق الثورة، وهذا ما يتضح من خلال قول إدريس الخضراوي: «يقف البطل في هذا السرد عند لحظة انطلاق الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي بما يحمله من دلالات ورموز بالغة القوة: معاني التضحية الجماعية والرغبة في استعادة الأرض، وإعادة رسم الهوية من جديد». [1]ونفهم من خلال هذا القول أن أحداث الرواية بدأت عند انطلاق أحداث الثورة التحريرية.

فالحدث الروائي يتّسم بالزمانية، ونجد في رواية ذاكرة الجسد أن الراوي خالد بن طوبال يروي لنا ما حدث له أثناء الثورة وهو بصحبة المجاهدين، ثم تحدث عن وفاة سي الطاهر، فأثناء قراءتنا للرواية نجد زمن الأحداث يذهب إلى الماضي ثم يرجع إلى الحاضر، أي أنّ الرواية ليس لها زمن محدود من أولها إلى آخرها، فالزمن في الرواية له أهمية كبيرة نجد وكأنه شخصية من شخصيات الرواية حدثت له تلاعبات في السير المنطقي للأحداث أي من الترتيب المنطقي (ماضي ـــــ حاضر ـــــ مستقبل) إلى (حاضر ـــــ ماضي ـــــ مستقبل ـــــ ماضي) فالرواية كانت أغلب أحداثها عبارة عن استذكار لأحداث الماضي جاءت على لسان البطل، وقد أشار إلى ذلك إدريس الخضراوي: «وهنا يتعالق اليومي مع التاريخي في عمل روائي يكثر من استحضار التاريخ وذكره على لسان البطل الذي تتصفى من خلاله كل الحكايات». [2]

5-1-3- الزمن في تغريبة أحمد الحجري:

من بين الرواة الذين دعا صيتهم وكثر الكلام فيهم عبد الواحد إبراهيم، هذا الأخير الذي اعتمد في بعض أعماله على العودة إلى الثورات وإلى زمن الماضي، فلو أخذنا مثلا تغريبة أحمد الحجري لوجدنا أن بطلها شخصية تاريخية عاشت في حقبة الماضي، وكان شاهدا على الأحداث التي وقعت في حرب الأندلس، أما الهدف من

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 226.
[2] المصدر نفسه، ص 235.

عودة الروائي إلى زمن الماضي فهو «تسليط الضوء على هذا الجانب القائم بين تاريخ الصراعات بين الأديان والثقافات خلال الفترة الوسيطة، وأتصوّر أن تحريك الروائي لبطله في فضاءات متعددة ومجابهته لوقائع وأحداث متباينة كان له أبلغ التأثير على حضور الخيال في هذه الرواية، لذلك نجد أن عبد الواحد إبراهيم تمكّن من أن يفتح كوة في جدار التواريخ الرسمية، فالرواية اليوم لم تعد مهمتها التذكير بما توافقت عليه الجماعات، بل نجد الخيال ينهض بوظيفة حفرية استكشافية، فهو يمكن من رؤية ذلك الجانب الآخر الذي غيبته سرديات القوة والهيمنة». [1]

فقد حاول عبد الواحد إبراهيم إعطائنا صورة عن الحياة في الفترة الوسيطة، كما حاول من خلال روايته "تغريبة أحمد الحجري" تتبع الأحداث الزمانية التي وقعت لبطل الرواية "أحمد الحجري" لكن الإضافة التي قام بها الراوي هي محاولة سرد الأحداث الزمانية وربطها بعنصر الخيال والتخييل، هذه الطريقة تمكننا من إزالة الغموض وتفكيك القيود وكسر الأغلال على معلومات التراث والأحداث التاريخية الغامضة، فالمتمعن الجيد والقارئ الدقيق لتغريبة أحمد الحجري يستنتج النقاط التالية:

- أن هذه الرواية استمدت مقوماتها من التراث العربي القديم، وبالعودة إلى زمن الماضي، فالرواية المعاصرة تهدف إلى كتابة التاريخ ونقل أحداثه بصيغة جديدة ملائمة للزمن المعاصر وملائمة لثقافات الشعوب المعاصرة.
- حاول عبد الواحد إبراهيم تقريب صورة أحمد الحجري إلى أذهان المتلقين القارئين، وذلك بالعودة بالزمن إلى الوراء، لكي يربط القارئ بأحداث الرواية هذا من جهة، ومن جهة ثانية بهدف إزالة اللبس والغموض عن الوقائع والأحداث التي وقعت في الزمن الماضي.

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 152.

فعبد الواحد إبراهيم حاول من خلال تغريبة أحمد الحجري: «أن يحاور التراث السردي العربي ممثلا في الرحلة، مستثمرا ما توفره من تشويق وغرابة ومفارقات»، [1] حيث حاول عبد الواحد إبراهيم أن يعود بنفسه إلى زمن وقوع الأحداث وأن يعيش تفاصيلها عن طريق تخيّل الأحداث كما وقعت، أي ربط الزمن بالقدرة التخييلية.

5-2- المكان:

المقصود بالمكان في الرواية هو الفضاء التخيلي الذي يصنعه الروائي من كلمات ويضعه بإطار تجري فيه الأحداث.[2]

يمثّل المكان مكوّنا محوريا في بنية السرد بحيث لا يمكن تصور الحكاية بدون مكان، فلا وجود للأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين. [3]

يعرف الباحث السيميائي "لوتمان" المكان بقوله: «مجموعة من الأشياء المتجانسة من حالات أو وظائف أو أشكال متغيرة تقوم بينها علاقة شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل اتصال المسافة». [4]

والمكان كما يرى غاستون باشلار هو المكان الأليف، وذلك البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة، إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا.

للمكان أهمية كبيرة في الرواية إذ يعدّ دعامة من دعامات البناء القصصي، حيث يساعد على التفكير والتركيز والإدراك العقلي للأشياء، وتوظيف المكان في الإبداع القصصي من الوسائل الجمالية ذات التصورات البعيدة، لما يحمله من ملامح ذاتية وسمات إبداعية وعواطف إنسانية، وتجارب اجتماعية تجعل العمل متكاملا في بنيته، هكذا يصبح المكان مكوّنا قصصيا جوهريا، وعنصر متحكم في الوظيفة الحكائية والرمزية «فهو يتخذ أشكالا وتصورات، ويتضمن معاني عديدة، في غالب الأحيان يكون الهدف من القصة بأكملها». [5]

---

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 157.

[2] عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح، دار هومة للطباعة والتوزيع، د ط، الجزائر، 2010، ص 29.

[3] محمد بوعزة: تحليل النص السردي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 99.

[4] المرجع نفسه، ص99.

[5] أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، ص 30.

إنّ تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع بمعنى يوهم بواقعيتها، أي أنّه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور أو الخشبة في المسرح، ومن الطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصوّر إلا ضمن إطار مكاني معين.

5-2-1- المكان في رواية "الأمير" لواسيني الأعرج:

تبرز أهمية المكان في رواية كتاب "الأمير" لواسيني الأعرج ممثلة في الحالات الشعورية المتعددة والتي نجدها بارزة في عدة مواضع، والتي كان لها دور بارز في تحريك المشاعر، ومن هنا يبرز مدى التصاقها بالمكان وخضوعها له، كما يتحكم المكان في سلوكياتها وتصرفاتها الصادرة من الشخصيات، وهذا ما نجده مجسّدا في حالة الأمير عبد القادر الشعورية عندما كان في السجن، الذي كان يعيش في مكان مغلق ومحدود، هذا المكان الذي جعل الأمير يشعر بالغربة والحنين والعزلة ومرارة الألم.

وهذا ما أشار إليه إدريس الخضراوي في كتابه "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" من خلال قوله: «فعندما حوصر الأمير داخل التراب المغربي، ولم يجد أمامه من مخرج سوى اختراق الحصار المضروب عليه، ترك وراءه خليفته ابن التهامي مع مجموعة من المساجين الذين أسروا أثناء الحرب، لكن هذا الأخير عمل على ذبحهم عوض إخلاء سبيلهم وإعادتهم إلى ذويهم». [1]

من خلال هذا القول يشير لنا إدريس الخضراوي إلى أحد الأمكنة التي أخذت حيزا كبيرا في رواية "الأمير" لواسيني الأعرج، ألا وهو السجن، حيث أمضى الأمير فترة عصيبة في هذا المكان، حيث تعرض فيه هو وأصحابه لأشد أنواع القمع والعذاب من طرف المستعمر.

ويمكن تقسيم الأمكنة المذكورة في رواية "الأمير" إلى أمكنة مفتوحة، وأمكنة مغلقة، وهذا من خلال الجدول التالي:

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الإستعمار، ص 127-128. نقلا عن: واسيني الأعرج: كتاب الأمير، ص 409.

المكان	نوعه	التمثيل من خلال كتاب الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار لإدريس الخضراوي
– الجزائر	– مكان مفتوح	– ففي هذه الرواية تحضر الجزائر ليس بطبيعتها الخلابة وفضاءاتها الساحرة فحسب. ص: 106.
– أوروبا	– مكان مفتوح	– وإذا كانت هذه الحركة تتحقق في أوروبا على شكل مقولات. ص: 108.
– السجن	– مكان مغلق	– كان مونسنيور ديبوش يجريها مع الأمير في سجنه. ص: 128
– العربة	– مكان مغلق	– حيث كان على متن العربة الحريرية. ص: 129.
– القصر الرئاسي	– مكان مغلق	– التي تقله إلى القصر الرئاسي. ص: 129.
– ساحة الحرب	– يمكن اعتباره مكان مفتوح أو مغلق	– قبل أن ندخل في ساحة الحرب والمعارك القاسية. ص: 121.
– فرنسا	– مكان مفتوح	– لم تغيرك فرنسا كثيرا. ص: 112.

5-2-2- المكان من خلال رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي:

للمكان علاقة بمخيلة الإنسان وذاكرته، فقد يكون الشخص في مكان ما، غير مكانه الحقيقي الذي هو متواجد فيه، وذلك بذكرياته التي يسافر بها حيث يشاء، شأنه شأن المغترب الذي يبتعد عن وطنه مدة طويلة، ويشتاق لرؤيته ويحنّ إليه، فيسترجع تلك الأيام التي عاشها فيه، فنجده يتذكر كل ركن في وطنه أو في مدينته التي ولد وتربّى فيها.

نجد هذه الصورة في رواية "ذاكرة الجسد" عند بطلها خالد بن طوبال الذي عاش في فرنسا، وكان مشتاقا لمدينة قسنطينة، فعبّر عن أحاسيسه بواسطة الرسم، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، الشيء الذي كان يذكّر خالد بمدينة قسنطينة هو "حياة" الفتاة التي أحبّها فقد كانت تذكره بمدينته في تفاصيل وجهها، وطريقة كلامها ولباسها.

فللمكان علاقة بالأحداث في الرواية، فنلاحظ أن قسنطينة رمز للبطلة، ونجد خالد يصف كل شيء فيها، وذلك عندما يقول: «لتعود بعد لحظات بصينية قهوة نحاسية كبيرة، عليها إبريق، وفناجين وسكرية، ومرش لماء الزهر، وصحن للحلويات في مدن أخرى تقدم القهوة جاهزة في فنجان، وضعت جواره مسبقا ملعقة وقطعة سكر، ولكن قسنطينة تكره الإيجاز في كل شيء، إنها تفرد ما عندها دائما، تماما كما تلبس كل ما تملك، وتقول كل ما تعرف».[1]

تعتبر قسنطينة أهم مكان في رواية "ذاكرة الجسد" فلا يمكن الحديث عن هذه الرواية من دون التطرق إلى مدينة قسنطينة، وهذا ما قام به الناقد إدريس الخضراوي من خلال كتابه "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار"، حيث تحدث عن قسنطينة قائلا: «وكانت قسنطينة المدينة القابعة في الشرق الجزائري على وعد حقيقي مع هذه الثورة حين آثرت أن تجعل من أدغالها وغابات البلوط والغار التي تحيط بها موقعا آمنا للمجاهدين، وقواعدهم السرية».[2]

كما أشار إدريس الخضراوي إلى مكان آخر مهم في أحداث الرواية، ألا وهو "سجن الكدية" الذي يعدّ من المعالم المكانية البارزة في قسنطينة، حيث يعتبر هذا المكان منطلق الرواية، فقد بدأت أحداثها من سجن الكدية، حيث كان الموعد الأول بين خالد، وسي الطاهر، حيث تحدّث إدريس الخضراوي عن سجن الكدية من خلال قوله: «عندما أطلق سراح خالد أول مرة من السجن، سجن الكدية، بشرق الجزائر والذي تعرّف فيه على سي الطاهر، عاد من جديد إلى المدرسة، ليكتشف أنّ الكثير من الطلبة لم يلتحقوا: منهم من قتل، ومنهم من سجن، ومنهم من كان في الجبهة يقاتل على خطوط التماس مع العدو».[3]

يمكن تصنيف الأماكن التي ذكرها إدريس الخضراوي في كتابه "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" إلى أماكن مفتوحة وأماكن مغلقة، وذلك حسب الجدول التالي:

---

[1] أحلام مستغانمي: رواية ذاكرة الجسد: دار نوفل، بيروت، لبنان، 2013، ص 8.

[2] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 226.

[3] المصدر نفسه، ص 228.

المكان	نوعه	التمثيل من خلال كتاب" الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" لإدريس الخضراوي
– قسنطينة	– مكان مفتوح	– وكانت قسنطينة المدينة القابعة في الشرق. ص: 226.
– الغار	– مكان مغلق	– وغابات البلوط والغار التي تحيط بها. ص: 226.
– السجن	– مكان مغلق	– عندما أطلق سراح خالد أول مرة من السجن. ص: 228.
– باتنة	– مكان مفتوح	– في معركة ضارية دارت على مشارف باتنة. ص: 230.
– تونس	– مكان مفتوح	– وكان عليه أن ينتقل إلى تونس للعلاج. ص: 230.
– المدرسة	– مكان مغلق	– عاد من جديد إلى المدرسة. ص: 228.

5-2-3- المكان من خلال رواية "تغريبة أحمد الحجري":

إنّ رواية "تغريبة أحمد الحجري" للناقد التونسي عبد الواحد إبراهيم من الروايات العربية التي يمكن اعتبارها ضمن أدب الرحلة، حيث يمكن اعتبارها سيرة ذاتية يحكي فيها البطل أحمد الحجري عن رحلته إلى إسبانيا (بلاد الأندلس)، حيث يشير إدريس الخضراوي إلى أدب الرحلة عندما قال في كتابه الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار: «إنّ رواية تغريبة أحمد الحجري تلفت الانتباه بما تطرحه من أسئلة جمالية ومعرفية بصدد السرد ووظيفته وآليات الأداء فيه، وإذا كان هذا الروائي التونسي يحاور التراث السردي العربي ممثلا في الرحلة». [1]

لقد قام إدريس الخضراوي بذكر مجموعة من الأماكن التي جاءت في رواية تغريبة أحمد الحجري، هذه الأماكن سنقوم بتصنيفها حسب أماكن مفتوحة وأماكن مغلقة حسب الجدول التالي:

المكان	نوعه	التمثيل من خلال كتاب الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار لإدريس الخضراوي
– غرناطة	– مكان مفتوح	– خلال فترة سقوط غرناطة. ص: 149.
– الأندلس	– مكان مفتوح	– تلك المرحلة من تاريخ المسلمين بالأندلس. ص: 149.
– المحكمة	– مكان مغلق	– احتج بأنها كتب زراعية فقيل له في المحكمة. ص: 150.
– تونس	– مكان مفتوح	– أثناء عودته إلى تونس. ص: 151.
– إقامة الأندلس	– مكان مغلق	– ذكر تستور وإقامة الأندلس بها. ص: 161.
– المغرب	– مكان مفتوح	– ذات الصلة برحلته من الأندلس إلى المغرب. ص: 161.

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 157.

5-3- الشخصيات:

«الشخصية هي كل مشارك في أحداث الرواية سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات، بل يكون جزءا من الوصف، الشخصية عنصر مصنوع مخترع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصوّر أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها». [1]

يولي النقد الروائي للشخصية أهمية خاصة بوصفها تقنية ضرورية للرواية، والسرد القصصي، وإن بدا ذلك من خلال وجهة نظر والآراء النقدية المختلفة حول الشخصية الروائية، فالتقليديون يرون أن الشخصية الروائية بمثابة كائن حي، وينظرون إلى الحدث الروائي بكونه نتاجا لحركة الشخصية وكأنّه جنس من التاريخ، وهذا يعني أن الرواية لا تخلو من مجانسة المجتمع أو مطابقته، وأن الشخصية صورة دقيقة أو قريبة الدقة من حقيقة المجتمع وواقعه. أما النقد الحداثي فيرى أن الخطاب الروائي هو الرحم الذي تنتجه الشخصيات، ويعقد علاقة متماسكة بين هذين العنصرين، بحيث التمثل الجمالي والعاطفي لإحياء أساسا هذه العلاقة. [2]

كما «تعدّ الشخصية من أكثر العناصر فاعلية في بناء الرواية كونها العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده العناصر التشكيلية الأخرى». [3]

هذا يعني أنّ الشخصية هي الرابط الذي يجمع باقي البنى السردية في الرواية، ففيها يتمحور الزمن، ويتشكّل المكان، وتبرز الأحداث، هي البوثقة التي تتجمع بداخلها العناصر السردية الأخرى، كما يتوجب على الروائي أن يكون عارفا بشخوصه، وبكل أفعالها وحركاتها وأقوالها، كأنه آلهة تتحكم في مصائر الشخصيات.

---

[1] لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 113-114.

[2] أحمد شعث: بناء الشخصية في الرواية (الحواف) لفرت الغزاوي، مجلة جامعة الخليل للبحوث، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، م ج5، العدد 2، 2010، ص 2.

[3] حميد عبد الوهاب البدراني: الشخصية الإشكالية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص 7.

5-3-1-الشخصيات في رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج:

خلال دراسته للشخصيات يجد مجموعة من التصنيفات التي اعتمدها النقاد في دراستهم للشخصية الروائية، مثل تقسيم فيليب هامون، وتصنيف فلاديمير بروب، وتصنيف تودوروف، هذا الأخير يقوم تصنيفه للشخصيات على افتراض شخصيات نموذجية «حيث يتم تصنيف الشخصيات منذ البداية إلى قسمين متقابلين، تجد كل شخصية نفسها إزاء خصمها، وذلك انسجاما مع الوضع التراتبي الذي تتخذه في النسق العلائقي».[1]

فمن خلال دراسته لرواية "كتاب الأمير" يدرك أن هذه الشخصية النموذجية كانت ممثلة في النموذج البطولي، والذي كان مجسدا في شخصية الأمير عبد القادر، والتي تعدّ شخصية ديناميكية تمحورت حولها كل أحداث الرواية، منذ بدايتها إلى غاية نهايتها وعلى ضوء هذه الشخصية البطولية تمكن الكاتب أن يقتلعها من التاريخ الجزائري، وينقلها لأبناء الجيل الحاضر مخبرة عن نفسها، وعن انتمائها البطولي، ودفاعها المستميت عن الوطن، ليدركوا أصالة انتمائه الحقيقي الذي لا يزول بزوال الأبطال.

أما ما يقابل هذه الشخصية فنجد النموذج المضاد الذي كان ممثلا في شخصية الاستعمار الفرنسي، وهي الشخصية المعاكسة، والتي تعرقل رغبة الشخصية الديناميكية، وتقف في مواجهتها ومجابهة أفعالها، مستعملة كل الوسائل. [2]

وقد أشار إدريس الخضراوي إلى هاتين الشخصيتين من خلال كتابه "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار"، وذلك من خلال قوله: «فبينما رأى الأمير عبد القادر في انتصاره على الجنرال تريزر في المعركة التي دارت بين المقاومة وجيش الاحتلال رسالة لفرنسا الاستعمارية كي تكف عن نزوعها الإمبراطوري». [3]

فمن خلال هذا القول نستنتج أنّ:

- **الشخصية النموذجية ← الأمير عبد القادر**
- **الشخصية المضادة ← تريزر وفرنسا الاستعمارية**

---

[1] إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، د ط، 2002، ص 156.

[2] المرجع نفسه، ص 187.

[3] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 116.

كما يمكن تقسيم الشخصيات التي أوردها إدريس الخضراوي في كتابه إلى شخصيات رئيسية وشخصيات ثانوية، وذلك وفق هذا الجدول:

الشخصية	نوعها	المثال من خلال "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار"
– الأمير عبد القادر	– شخصية رئيسية	– مقاومة الاحتلال الفرنسي بقيادة الأمير عبد القادر. ص: 113.
– الجنرال كلوزيل	– شخصية ثانوية	– إن هذا المستوى الذي تفصح عنه المواقف العدائية لكلوزيل. ص: 116.
– الجنرال بيجو	– شخصية ثانوية	– مظاهر التناقض فيها من جوانب متعددة مثل أوامر بيجو. ص: 120.
– حميد السقال	– شخصية ثانوية	– جاء في رسالة الأمير التي حملها له مبعوثه حميد السقال. ص: 120.
– مونيسينيور ديبوش	– شخصية رئيسية	– في إحدى حواراته مع القس مونيسينيور ديبوش. ص: 121.
– بواسوني	– شخصية ثانوية	– المستشارون الغربيون للأمير، الضابط بواسوني. ص: 124.
– ابن التهامي	– شخصية ثانوية	– ترك وراءه خليفته ابن التهامي مع مجموعة من المساجين. ص: 128.

5–3–2– الشخصيات في رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي:

لقد لعبت الشخصيات في رواية "ذاكرة الجسد" دورا كبيرا وفعالا في أحداث الرواية، وقد أشار إدريس الخضراوي إلى هذه الشخصيات في كتابه، ومن أهم هذه الشخصيات:

أ– خالد بن طوبال: لقد رمزت هذه الشخصية التاريخية إلى كل القيم المجيدة في الثورة الجزائرية، وإلى جيل الثوار من بعدها الذين اصطدموا بالواقع المرير للجزائر بعد الاستقلال، رمزت هذه الشخصية إلى الوجع الجزائري الذي لم يتوقف نزيفه حتى بعد الثورة، بل ربما زادت الهوة التي تفصل جيل الثورة والاستقلال عن هذا الجيل، وقد عبرت

أحلام عن هذا في إحدى صفحات روايتها قائلة: «حزنت وأنا أكتشف أننا لم نكن متخلفين عن أوروبا وفرنسا فقط، كما كنت أعتقد، وإن لهان الأمر وبدا منطقيا لقد كنا متخلفين عما كنا عليه منذ نصف قرن أو أكثر، يوم كنا تحت الاستعمار؟ يومها كانت يومياتنا أجمل، وأحلامنا أكبر». [1]

وقد ذكر إدريس الخضراوي "خالد بن طوبال" في عدد من المرات في كتابه "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" كونه الشخصية الرئيسية في أحداث الرواية.

حيث يقول: «في ذلك الزمان، الذي كانت فيه المعركة ضد الاستعمار جارية على مستويات عديدة، قرر خالد بطل الرواية، الالتحاق بالثورة الجزائرية، وهو لا يزال تلميذًا بالمدارس الثانوية». [2]

ب– حياة أو أحلام: «الفتاة التي لم تكمل الخامسة والعشرين، هي ابنة واحد من رفاقه المناضلين– رفاق خالد– وابنة مدينة قسنطينة التي أصبحت تقف رمزا لها، وللوطن كله، ولأنها باتت تعني الوطن، فقد كان لابد أن تتلقى مصيرا مثل مصيره: أن يستولى عليها بعقد شرعي ورسمي، ويفض بكارتها واحد من هؤلاء الذين استولوا على الوطن وانتهكوه». [3]

وقد تحدث إدريس الخضراوي في كتابه عن أحلام كونها شخصية لعبت دورا هاما في أحداث الرواية، حيث يقول: «يشاء القدر أن تكون من زوار المعرض طالبة جزائرية تدعى أحلام، كانت تبدو عليها علامات تأثر عميق بلوحته الأولى التي رسمها، وكان عنوانها حنين». [4]

ج– سي الطاهر: لقد حملت شخصية سي الطاهر عنوان الإنسان الجزائري الأصيل الغيور على وطنه، فلخصت الرواية هذه الشخصية، كل ما يمكن أن يحمله المجاهد، الثائر والشهيد من رمزية، فتقول عنه في الرواية على لسان

---

[1] أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 284.

[2] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 226–227.

[3] فاروق عبد القادر: أوراق الزمن الرخو "وجوه وأحداث"، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 250.

[4] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 232.

خالد بن طوبال: «الرموز تحمل قيمتها في موتها، وحدهم الذين ينوبون عنهم، يحملون قيمتهم في رتبهم، وأوسمتهم الشرفية، وما ملأوا به جيوبهم على عجل من حسابات سرية». [1]

هذا وقد ذكر إدريس الخضراوي شخصية "سي الطاهر" في كتابه، حيث قال: «متأثرا في ذلك بموقف جارهم سي الطاهر، الذي ترك زوجته الصغيرة، التي لم ينعم إلى جانبها بزواجهما، لينظم إلى صفوف المجاهدين مؤسسا إحدى الخلايا الأولى للكفاح المسلح». [2]

د– زياد: يعتبر من الشخصيات الثانوية في الرواية، فقد كانت شخصية زياد رمز للنضال الفلسطيني، فقد استطاعت الكاتبة أن تنقل الوجع العربي عامة، وليس الجزائري فقط، من خلال شخصية زياد الخليل الذي ينحدر من مدينة غزة الفلسطينية، والذي كان عضوا في الجبهة الشعبية في لبنان، ليلقى حتفه في بيروت سنة 1982.

لقد ذكر إدريس الخضراوي مجموعة من الشخصيات الفرعية التي لعبت دورا في أحداث رواية ذاكرة الجسد مثل: الأم، حسان، سي الشريف، مصطفى، الطبيب اليوغوسلافي.

---

[1] أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 40.

[2] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، ص 227.

خاتمة

خاتمــة:

وفي ختام بحثنا وصلنا إلى مجموعة من النتائج، والتي أردنا أن تكون حوصلة شاملة ومختصرة لأهم النقاط التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، إضافة إلى بعض الانتقادات الموجهة لإدريس الخضراوي من خلال كتابه "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار"، والتي سنلخصها في النقاط التالية:

- يعود ظهور الدراسات الثقافية إلى القرن التاسع عشر أو قبل تلك الفترة بقليل، وذلك في ظل العلوم الإنسانية كعلوم الاجتماع، الأنثروبولوجيا وعلم النفس...وقد ظهرت بشكل متميز مع تأسيس مدرسة برمنغهام سنة 1964، لتعرف بعدها انتشارا أكبر وأوسع في فترة التسعينات.
- كان النقد ما بعد الكولونيالي في البيئة العربية خاضعا لمجموعة من التغيرات، كونها تربط الخطابات بالمشاكل السياسية في العالم. حيث كانت دائرة الاستقبال العربي لخطاب ما بعد الكولونيالية ضمن عدد من المدارات التي مثّلت بعدد من الدارسين الذين توزعوا على دوائر كالترجمة والنقد الأكاديمي، والملاحظ أن أغلب الدراسات التي تناولت خطاب ما بعد الكولونيالية جاءت معظمها ضمن مقالات، ومن أ هم الدارسين العرب لخطاب ما بعد الكولونيالية نجد: رامي أبو شهاب، سعد البازعي.
- طرح كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" مجموعة من القضايا الأدبية والنقدية، مثل: قضية الأنا والآخر، ثنائية التاريخي والتخييلي، قضية الصراع بين الشرق والغرب، العلاقة بين المستعمِر والمستعمَر. حيث نجد أن هذه القضايا بارزة في هذا الكتاب، وذلك من خلال اشتغال الكاتب على مجموعة من الروايات العربية، مثل: رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج، رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي، ورواية "تغريبة أحمد الحجري" لعبد الواحد إبراهيم.

- من أهم الانتقادات الموجهة لإدريس الخضراوي من خلال كتابه "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار"، أنه أتى بعدد كبير من الروايات في كتابه حيث يصعب على الناقد العودة لكل هذه الروايات من أجل معرفة القضايا المطروحة في كتابه. كما نلاحظ أيضا تهميشه للرواية النسوية، حيث تحدث عن رواية واحدة وهي ذاكرة الجسد، وهذا غير كاف من أجل إحاطة شاملة بالموضوع.

ختاما نتمنى أن يكون بحثنا هذا قد أحاط بكل ما سطرنا له، وهو بطبيعة الحال ليس كاملا، فالدراسة لا يمكن أن تكون نهائية، إذ يمكن لأي باحث آخر أن يعيد الدراسة والتحليل من نواحي عدة ووفق مناهج متعددة، كما لا يمكن بأي حال من الأحوال استيعاب جميع قضايا النظرية ما بعد الكولونيالية، وحصر جميع مقولاتها وأبعادها الثقافية والايديولوجية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

- إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012.

ثانيا: المراجع:

1- المراجع باللغة العربية:

1) إبراهيم عباس: تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، دط، 2002.

2) إبراهيم عبد الله: "التخيل التاريخي: السرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دط، 2011.

3) أحلام مستغانمي: رواية ذاكرة الجسد، دار نوفل، بيروت، لبنان، 2013.

4) أوريدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.

5) بعلي حفناوي: مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2004.

6) بوحاريش نادية: "النظرية ما بعد الكولونيالية أرضية الفكر المنثور"، الماهر للطباعة والنشر والتوزيع، طيف، ط1، 2019.

7) حميد عبد الوهاب البدراني: الشخصية الإشكالية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014.

8) رابطة أهل القلم: الهوية والتخيل في الرواية الجزائرية، منشورات مديرية دار الثقافة، سطيف.

9) رامي أبو شهاب: "الرسيس والمخاتلة: خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر النظرية والتطبيق"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013.

10) رشيدة بن مسعود: "الجسد وشبيهه: سيرة الواقعي والمتخيل في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، اتحاد كتاب المغرب، د ط، المغرب، 2006.

11) صالح فخري: "إدوارد سعيد، دراسة وترجمات"، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2009.

12) عبد الحق بلعابد: "عتبات، جيرار جينيت من النص إلى المناص"، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2008.

13) عبد القادر رابحي: إيديولوجية الرواية والكسر التاريخي، منشورات الوطن اليوم، العلمة، سطيف، د ط، 2016.

14) عبد الله الغدامي: "المشاكلة والاختلاف، قراءة في النظرية العربية وبحث في الشبيه المختلف"، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994.

15) عبد الله الغدامي:"النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005.

16) عبد الله الغدامي: "ثقافة الأسئلة، مقالات في النقد والنظرية"، دار سعادة الصباح، الكويت، ط2، 1993.

17) عبد الله الغدامي: الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية، الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 1998.

18) عبد الله الغدامي: النقد الثقافي رؤية جديدة، أعمال المؤتمر الدولي الثاني للنقد الأدبي، القاهرة.

19) عمر عاشور: البنية السردية عند الطيب صالح، دار هومة للطباعة والتوزيع، د ط، الجزائر، 2010.

20) فاروق عبد القادر: أوراق الزمن الرخو "وجوه وأحداث"، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.

21) محمد بوغرة: تحليل النص السردي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

22) محمد صابر عبيد: جمالية التشكيل الروائي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.

23) مراد عبد الرحمان مبروك: بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية للكتاب، د ط، مصر، 1997.

24) مشري بن خليفة: سلطة النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2000.

25) مها حسن القصراوي: الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2004.

26) ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002.

2- المراجع المترجمة:

1) إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الأدب، بيروت، لبنان، ط4، 2014.

2) إدوارد سعيد: العالم والنص والناقد، تر: عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 2000.

3) إدوارد سعيد: "الاستشراق-المعرفة السلطة الإنشاء-"، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت ، ط2، 1984.

4) آرثر آيزابرجر: النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويس، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2003.

5) آنيا لومبا: في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، تر: محمد عبد الغني غنوم، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007.

6) بيار بورديو: الهيمنة الذكورية، تر: سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009.

7) بيل أشكروفت وآخرون: "دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية"، تر: أحمد الروبي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010.

8) دوغلاس روبنسون: "الترجمة والإمبراطورية: نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية"، تر: ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005.

9) زيودين ساردار وبورين فان لون: الدراسات الثقافية، تر: وفاء عبد القادر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003.

10) غاستون باشلار: جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

11) مجموعة من الكتاب: نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1997.

12) هيلين جيلبرت وجوان تومكينز: "الدراما ما بعد الكولونيالية، النظرية والممارسة"، تر: سامح فكري، د ط، 2000.

ثالثا: القواميس والمعاجم والموسوعات:

1) ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي كبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة.

2) بطرس البستاني: محيط المحيط، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

3) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

4) ك. نلوولف وآخرون: "موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي القرن العشرون: المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية"، تر: إسماعيل عبد الغني وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005.

5) لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

6) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8، 2005.

7) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس، تحقيق مصطفى حجازي، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.

8) نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، لونجمان، ط1، 2003.

رابعا: المذكرات والرسائل:

1- نادية بوحاريش: النظرية ما بعد الكولونيالية والتلقي العربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب، تخصص نقد ودراسات ثقافية، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، كلية الآداب واللغات، السنة الجامعية 2016/2015.

خامسا: المجلات والدوريات:

1- مجلة جامعة الخليل للبحوث، جامعة الأقصى، غزة، فلسطين، م ج 5، العدد 2، 2010.

2- مجلة كلية التربية/واسط، الصادرة في جامعة واسط، عدد 13، نيسا، 2013.

3- مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي جدة، ج54، م14، ديسمبر، 2004.

4- مجلة أبحاث ودراسات، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر، عدد 8 مارس 2015.

سادسا: المواقع الإلكترونية:

1) عبد المنعم عجب الفيا: رواية موسم الهجرة إلى الشمال والنقد ما بعد الكولونيالي، الإثنين 15 حزيران/ يونيو 2009. https://www.sudanile.com/index ..... تاريخ الانزال: 2020/09/15 على الساعة 14:00.

2) مجد خضر: الفرق بين الدراسة والبحث: https//mawdoo3.com.....تاريخ الانزال: 2020/02/26 على الساعة 13:57.

3) المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المكتبة الإلكترونية: book store.dohainstitute.org.....تاريخ الانزال: 2020/09/29 على الساعة 10:34.

4) وزارة التعليم والتعليم العالي: تعريف الدراسة: https://www.edu.gou.qa/AR... تاريخ الانزال: 2020/02/26 على الساعة 14:30.

الفهرس

فـــهـــــــــــرس المحتـــــــــــويـــــات

البسملة.	
الدعاء.	
شكر وتقدير.	
إهداء.	
مقدمة	أ - ج
الفصل الأول: الدراسات الثقافية/ النقد الثقافي (تأصيل للمفاهيم النظرية)	
1- مفاهيم نظرية	ص16
1-1- تعريف الدراسة	ص16
1-1-1-لغة	ص16
1-1-2- اصطلاحا	ص16
1-2- تعريف الثقافة	ص17
1-2-1- لغة	ص17
1-2-2- اصطلاحا	ص18
2- الدراسات الثقافية والنقد الثقافي	ص18
2-1- مفهوم الدراسات الثقافية	ص18
2-2- مفهوم النقد الثقافي	ص19
2-3- نشأة وتطور الدراسات الثقافية	ص20
3- أهم أعلام الدراسات الثقافية الغربية	ص22
4- الدراسات الثقافية في النقد العربي المعاصر	ص24
5- النقد ما بعد الكولونيالي (المصطلح والمفهوم)	ص28
5-1- نشأة الخطاب ما بعد الكولونيالي	ص32
5-2- أعلام النقد ما بعد الكولونيالي	ص35
5-3- النقد ما بعد الكولونيالي في البيئة العربية	ص39
الفصل الثاني: تجربة النقد ما بعد الكولونيالي عند إدريس الخضراوي من خلال كتابه "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار"	
1- التعريف بإدريس الخضراوي	ص46
2- أعماله	ص46

3- التعريف بالكتاب ووصفه	ص47
4- الرواية العربية: مقاربة ما بعد كولونيالية: كتاب الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار لإدريس الخضراوي أنموذجا	ص52
4-1- قضية الأنا والآخر	ص53
4-1-1- رواية الأمير لواسيني الأعرج	ص54
4-1-2- رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي	ص55
4-1-3- تغريبة أحمد الحجري	ص56
4-2- ثنائية التاريخي والتخييلي	ص56
4-2-1- رواية الأمير لواسيني الأعرج	ص57
4-2-2- رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي	ص60
4-2-3- تغريبة أحمد الحجري	ص62
5- آليات التمثيل السردي من خلال كتاب "الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار" لإدريس الخضراوي	ص63
5-1- الزمن	ص63
5-1-1- الزمن في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج	ص64
5-1-2- الزمن من خلال رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي	ص66
5-1-3- الزمن في تغريبة أحمد الحجري	ص66
5-2- المكان	ص68
5-2-1- المكان في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج	ص69
5-2-2- المكان من خلال رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي	ص70
5-2-3- المكان من خلال تغريبة أحمد الحجري	ص73
5-3-الشخصيات	ص74
5-3-1-الشخصيات في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج	ص75
5-3-2-الشخصيات في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي	ص76
❖ خاتمة	
❖ قائمة المصادر والمراجع	
❖ فهرس المحتويات	